أكاديمية العشيرة المحمدية

المعهد العالى للدراسات الإسلامية
والعربية وعلوم التصوف

محاضرات فى
الفقه الصوفى للأحكام الشرعية

تأصيل علمى روحى لمنهج أهل السنة والجماعة

ألقاها

أ.د. على جمعة محمد الشافعى

مفتى الديار المصرية

وأستاذ أصول الفقه - جامعة الأزهر

قدم لها

أ.د. حسن الشافعى

عميد المعهد

وأستاذ العقيدة الإسلامية

تشرف بإعدادها وتحقيقها وإخراجها

د. موسى محمود شومان



أكاديمية العشيرة المحمدية
المعهد العالى للدراسات الإسلامية
والعربية وعلوم التصوف
ت: ٠٠٢ - ٠٢ - ٣٤١٠٥٠٦

العشيرة المحمدية
أسسها الراحل الإمام الرائد محمد زكى إبراهيم
دعوة الخير والأخلاق الربانية
معتمدة بالقرار الجمهورى رقم ١٩٦٨/٧٥٠
من الهيئات ذات النفع العام
ومشهرة بالشئون الاجتماعية برقم ٦٧٥



محاضرات فى

الفقه الصوفى للأحكام الشرعية العملية

تأصيل علمى روحى لمنهج أهل السنة والجماعة

ألقاها

أ.د. على جمعة محمد الشافعى
مفتى الديار المصرية
وأستاذ أصول الفقه بالأزهر الشريف

قدم لـــها
أ.د. حسن الشافعى
أستاذ العقيدة الإسلامية
عميد المعهدالعالى للدراسات الإسلامية
والعربية وعلوم التصوف
ورئيس الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان
(سابقا)

تشرف بإعدادها وتحقيقها وإخراجها
الدارس د. موسى محمود شومان
مقرر أسرة الرائد وبالتعاون مع المكتب الفنى للمعهد

الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية
د/ على جمعة محمد الشافعى
الفقه الصوفى للأحكام وأصوله.
١٢٠ ص، ١٧,٥سم× ٢٥ سم
١ - التصوف الإسلامي
٢ - الفقـــه الإسلامي
رقم الإيداع :٨٣٣٦/ ٢٠٠٦
الترقيم الدولى ٢-٣٢١٠-١٧-٩٧٧
المركز العربى للطباعة ٢٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(سورة الزمر ٩)

﴿ مَنْ يُرِدِ اللّٰهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِى الدِّيْنِ ﴾

(حديث متفق عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله،
وآلـه وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الفقه الصوفى للأحكام الشرعية تكلم عنه السابقون منهم الشيخ الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى وذلك فى كتابه الماتع إحياء علوم الدين، ومنهم الإمام الحجة الصوفى الحكيم الترمذى فى كتابه الأكياس والمغترين، والإمام القسطلانى فى كتابه أسرار الصيام وأسرار الحج ونحوها، ثم جاء الأئمة من بعدهم فكتبوا فى هذا المعنى.

واليوم نحاول أن نرجع إلى هذا المدخل العظيم الذى كاد أن يندثر ويذهب حيث حاول فيه ابن عجيبة وولى الله الدهلوى فى حجة الله البالغة فكانا من أواخر من نبه إلى هذا الربط بين العلوم وهذه الرؤية الكلية الإنسانية التى تفيض حبا وإخلاصا والتى نرجو الله أن يرجع إلى حياتنا فيرجع لها خير كثير.

والمعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف فى القاهرة هو المنطلق لتدريس هذه المادة المباركة، وهذه خواطر ولمحات تفتح الأبواب وتثير الذهن وتدرِّب على القراءة فى أمر كان ولابد أن نفتحه حتى يفتح الله علينا، آمين.

كتبه أ.د. على جمعة محمد الشافعى

مفتى الديار المصرية

وأستاذ أصول الفقه بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على النعمة المهداة والرحمة المزجاة، سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه ومن تبع هداه، وبعد:

فقد يسَّر الله تعالى، وله الفضل والمنة، إنشاء **"المعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف"** فى القاهرة منذ قرابة عامين، وفى رحاب العشيرة المحمدية، تحقيقا لرؤية شيخنا الرائد الأول **محمد زكى إبراهيم**، إحياءً للدرس العلمى الأزهرى التقليدى القائم على التحليل النصى والتفهم المتعمق للعلوم الإسلامية، الشرعية والعربية، مع ما يتصل بها من أسرار روحية ومعانٍ صوفية تربط القلوب – بعد العقول – بمقاصد الشرع وأهدافه العلية، فى تزكية النفوس وتخليتها من الرعونات البشرية، وتحليتها بالكمالات والفضائل الإنسانية فتسمو لمقامات المراقبة، وتتشوف درجات المشاهدة، وتتذوق حلاوة الإيمان وتحس برد اليقين، وتتهيأ لاستئناف دورها الحضارى، وعطائها الإبداعى، على مستوى الفرد والجماعة، لتعود الأمة المسلمة، بإذن الله، فتمسك بزمام الحضارة والتقدم، فى العلم والعمل، والكشف والإبداع، والعبادة والعمارة، قياما بواجبها نحو نفسها ودينها وربها، وخدمة للإنسانية كلها، وصدق الله العظيم ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء ١٠٧).

ومن فضل الله علي هذا المعهد العتيد أن قيض له عددا من الأساتذة المحتسبين لجهودهم التعليمية والبحثية قربة إلى الله تعالى وطلبا لرضاه، فى مقدمتهم الأستاذ الدكتور **على جمعة**، مفتى الديار المصرية، وأستاذ أصول الفقه بالجامعة الأزهرية الذى تفضل بتدريس مادة "الفقه الإسلامى" بمشرب صوفى، لا يقف عند أحكام المفروض والمحرَّم، والمندوب والمكروه والمباح، وإن كان يستوعبها بحثا، ويتعمقها تفصيلا وتحليلا، بل يتطرق إلى ما وراءها من الحكم، وما تهدف إليه من المقاصد، وما تشتمل عليه من الأسرار، على الصعيد الفردى والاجتماعى، وفى المدى الدنيوى والأخروى، بأسلوب وسط بين الإيجاز والإطناب، وتناول سهل ميسر لكل باحث عن اللباب، آخذا بالأسباب، متخذا سبيله إلى مولاه العزيز الوهاب.

وتسجيلا لهذه الجهود العلمية، وتوسيعا لدائرة الإفادة منها، وسعيا إلى تنميتها وترقيتها فى المستقبل أذن فضيلته بإخراجها على هذا النحو الذى نهضت به أسرة النشاط الطلابى بالمعهد بإشراف راعيها الأستاذ الدكتور **محمد مهنا**، وتشجيع الدكتور **محمد عصام الدين محمد زكى إبراهيم** رائد العشيرة، فلهم جميعا الشكر والامتنان، وعسى أن يبارك الله مساعيهم ويزيدها بركة، ويجعل هذا المعهد صرحا تعليميا وروحيا يخدم أجيال الأمة، وينهض برسالة العلم والتعليم، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه أ.د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعى
عميد معهد الدراسات الإسلامية والعربية
وعلوم التصوف

بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

فقد مَنَّ الله تعالى على الأمة الإسلامية بعلماء عارفين عاملين هم وورثة المعصوم ﷺ قاموا على خدمة العلم الشرعى ووضعوا فكرة مولانا الراحل **محمد زكى إبراهيم** رضي الله عنه رائد العشيرة المحمدية ومؤسسها موضع التنفيذ بإقامة هذا الصرح العلمى أكاديمية العشيرة المحمدية والتى تم فى إطارها إنشاء "المعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف" ليحاكى الأزهر القديم مع ميزة فريدة تتمثل فى بيان الأبعاد الإشارية الروحية فى العلوم الشرعية والتى تدرّس لأول مرة على نحو جديد، وفى صورة مقررات دراسية أكاديمية منهجية على أيدى متخصصين فى علوم الشريعة والحقيقة.

ومن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ العالم الجليل أ .د. **على جمعة محمد الشافعى** أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر الشريف ومفتى الديار المصرية، بقدره المعروف فى العلوم الشرعية وميراثه الروحى بالسند المتصل إلى سيدنا رسول الله ﷺ حيث تفضل مشكورا بالإسهام فى حمل عبء التدريس لمقرر: الفقه الصوفى للأحكام، كتأصيل علمى روحى لمنهج أهل السنة والجماعة فى استنباط الأحكام الشرعية أو بالأحرى عرض حقائق علم الفقه وأصوله من منظور صوفى.

ونظرا لضيق وقت المحاضرات المتاحة ولحداثة التجربة كان فضيلة أ .د. على جمعة لا يزيد الجرعة الدراسية عن حد معين فى قاعة المحاضرات وعلى الرغم من ذلك كانت مليئة وزاخرة بعلوم الشريعة وعلوم الحقيقة والتى يندر أن تتاح على هذا النحو كما وكيفا.

ولما كانت هذه الفرصة لا تتكرر كثيرا فلقد قامت أسرة الرائد بالمعهد والتى تم تشكيلها من مجموعة الدارسين بالمعهد بتسجيل هذه المحاضرات والعمل على إخراجها فى صورة مكتوبة حفظا لتراث علمائنا ومشايخنا تحت إشراف أ .د. **محمد مهنا** راعى الأسرة، والتى تم اختيار اسمها تيمنا بلقب الرائد الراحل، والتى نهضت بتنفيذ هذا الاقتراح بتحويل المحاضرات إلى صورة مكتوبة مع نوع من الإخراج الملائم يُسجّل المادة المسموعة تعميما للفائدة وتوثيقا للنص، وذلك بعد أن رُفِعَ الاقتراح إلى مقام مولانا فضيلة أ .د. **على جمعة** فتفضل مشكورا بالإذن بكتابة النص المسموع واستكمال بعض الجوانب الفنية والشكلية كتخريج الآيات والأحاديث والتبويب وعزو النصوص إلى مصادرها قدر الإمكان وترجمة الأعلام، ووضع ذلك فى هوامش فى أدنى الصفحات، ووضع مقدمة لكل محاضرة تبين عناصرها والأفكار التى تحتوى عليها، لتخرج المحاضرات فى صورة كتاب بين دفتين، مع الالتزام بالنص المسموع فى المحاضرات. ولقد تفضل فضيلته بمراجعته قبل إصداره. فجاء هذا العمل الأول من نوعه فى هذا المجال. كما تفضل فضيلته بالتقديم لهذا العمل فكانت ثقة غالية تعتز بها الأسرة رغم صعوبة العمل، لكن إذا صح الغرم وضح السبيل، وهو ولينا ونعم الوكيل.

إشكاليات البحث:

هى المشاكل العلمية أى مجموعة التساؤلات التى يطرحها البحث ويحاول الباحث أن يجيب عليها وخاصة فيما يتعلق بالمواضع الخلافية بين العلماء فيطرحها الباحث مبينا وجهة نظره بعد عرض الآراء المختلفة على أسس علمية. وللوقوف على أهم هذه الإشكاليات تفصيليا نسير مع الشيخ الجليل فى محاضراته الخمس التى قام بإلقائها على النحو التالى:

المحاضرة الأولى :

اشتملت على تعاريف ومصطلحات هامة لابد من البدء بها عن الفقه ومعناه ظاهرا وباطنا مع توجيه الدارسين بالإفادة من شبكة المعلومات واستناد الشرح والتحليل على المنهج السُنّى الأزهرى القديم، كل ذلك بهدف التأثير على السلوك الإنسانى لتحقيق الغاية المنشودة وهى سعادة الدارين. ومن بين ذلك ما يلى:

١- بيان المقصود بالمنهج السنى الأزهرى وكونه يبحثُ فى أعماق الأمور ظاهرا وباطنا، حيث يبدأ فى دراسة الكلمة، العلاقات التى بين هذه الكلمات بعضها مع بعض وصولا إلى شبكة المعلومات

٢- إلقاء الضوء على فائدة شبكة المعلومات من حيث إن الإنسان يستطيع بها أن يفهم أشياء كثيرة، ويصير له القدرة على استعمالها فى الحصول على المعلومات وفى ربط المعلومات بعضها ببعض ثم فى توليد المعلومات منها

٣- تعريف الفقه ظاهرا من حيث اللغة وبيان الراجح من الأقوال أنها تعنى الفهم مطلقا ، وكذلك تعريفه من حيث الاصطلاح بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبُ من أدلتها التفصيلية.

٤- التأكيد على أن هذا التعريف يحتاج إلى دراسة وتحليل لكل كلمة من كلمات التعريف مثل: العلم فلابد أن يكون فى ذهن الدارس خريطتان للعلم: مطلق الإدراك أو الإدراك الجازم .... إلخ. - بالأحكام أى النسبة التامة أو خطاب الله .... إلخ. وأن اختيار النسبة التامة – ثم هى الشرعية أى المنسوبة إلى الشرع. وهكذا. مما يساعد العالم على أن يطوف فى بناء الشبكة المطلوبة من المعلومات.

٥- تعريف الفقه باطنا بأنه الحقيقة وبيان المقصود بالتحليل الصوفى.

٦- الوقوف على معانى مفردات التعريف وهو ما يأتى فى التحليل الصوفى للفقه. أى الفقه الصوفى. ومن أمثلة هذه الكلمات الفهم – اليقين – الله – الوجود – التكليف، وغيرها.

٧- وكتطبيق لذلك قام الشيخ ببيان معنى لفظ الجلالة: الله، وإسقاط ذلك على السلوك الإنسانى. وذلك ببيان أنه الوجود الحق، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله وأنه لا شريك له – لا يحتاج إلى غيره – لا بداية له – لا نهاية له – لا مثيل له - لا يشبه الحوادث ولا تشبهه الحوادث. وأن هذه هى الصفات السلبية وهى خمس صفات. وبذلك يكون المرء قد فهم. ولو عرف الإنسان هذه الحقيقة لأثر ذلك فى سلوكه. فيصبح متعلقا جدا بالله ومتوكلا جدا على الله ويكون عنده رضى وتسليم ورهبة من الله وحب فى الله وحسن توكل على الله. وتبدأ المعانى تتفجر فى قلبه من خلال هذه الكلمة: الله . وبذلك نكون قد فهمنا. فالفهم أحد العبارات المراد بيانها هنا إذ هى ترادف الفقه وقد سبق تعريفه اصطلاحيا.

المحاضرة الثانية:

حيث انتقل فضيلته إلى توضيح مداخل تناول الفقه الصوفى للأحكام مبينا تفاصيل كل مدخل ومصطلحاته ومن تكلم فيه من العلماء وأهم المؤلفات فى كل مدخل سواء فى العلوم الشرعية أو حتى علوم الآلــة، وعرض لبعض التطبيقات فى هذا الخصوص. ومن أهم ما ركز عليه فضيلته أن القضية هى قضية إنسان لــه قلب..القضية هى قضية مفهوم، وعلاقة بين الإنسان وبين ربه لابد علينا أن ندركها إدراكا صحيحا. كما وقف فضيلته على معانى بعض المصطلحات فى كتب القوم مثل المجذوب واليقين ودرجاته، وبيان ذلك كما يلى:

١- كلمة الفقه الصوفى لها مداخل متعددة: المدخل الأول: الوقوف على كلمات مما سطره علماء الفقه الظاهر وتحويلها إلى معان صوفية. والمدخل الثانى: وهو أن نتكلم عن أسرار العبادة.

٢- ومن أمثلة المدخل الأول: الوقوف على كلمات مثل: الله – الفهم – اليقين - .... وهكذا ودراسة معانيها الصوفية. ومن العلماء من فعل ذلك بين التصوف وبين العلوم الأخرى كشرح ابن عجيبة على الأجُرُّمِيَّة بكلام الصوفية. فمثلا عند كلمة "فاعل" يقول "هو الله" فإن الفاعل على الحقيقة هو الله فلابد وأن يكون مرفوعا.

٣- ومن أمثلة المنهج الثانى نجد أبا طالب المكي فى كتابه "قوت القلوب". حيث لا يتكلم عن أركان الحج بالأساس مثلا وإنما يتكلم عن مفهوم الطواف وأنه يشبه طواف الملائكةِ بالبيت المعمور. وكذلك الإمام الغزالي فى إحياء علوم الدين حيث نظر فى المعاملات مثلا وما يمكن أن يبحث عنه فيما وراء الظاهر أى إلى ما اشتهر فى الصوفية أثناء التربية بما يقال " التخلية والتحلية ". وأيضا الحكيم الترمذي وهو يؤلف فى أسرار العبادة. والقسطلاني وهو يؤلف كتابه أسرار الصيام..أسرار الحج..، وهكذا

٤- بيان أن كل ذلك لا يقف عند حد الظاهر والمسطور فى كتب الفقهاء من بيان الأركان والشروط والموانع والأسباب ومقتضيات الصحة والفساد بل إنه يبحث فى كل ذلك من ناحية الإشارة واللطيفة والمؤثر فى القلب حتى يرى الإنسانُ رَبَّه بقلبه كما هى مرتبة الإحسان أن يعبد الإنسانُ رَبَّه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فهو يراه.

٥- التعرض لبعض المصطلحات مثل المجذوب أى المجذوب بكليته إلى الله. بمعنى أنه يستهين بما فى الدنيا ويستهين بتعلق الناس بها ويقطع علائقه بها فعلا أو تصورا، وليس كما يفهم عامة الناس من هذا المصطلح.

٦- تناول مصطلح اليقين بشئ من التفصيل: علم اليقين / عين اليقين / حق اليقين. ومراتب الوجودات الأربعة. فمن تجاوز إلى أن حدث شئ فى قلبه يأبى الضد لا يعرف أن يكفر. أى أنهم لو قالوا لــه: اكفر..فلا يستطيع ولا يعرف كيف ذلك.

المحاضرة الثالثة:

فى خلال هذه المحاضرة يتضح منهج شيخنا أ.د. على جمعة فى التركيز على التطبيقات الهامة بعد أن بين مداخل التعامل مع الفقه الصوفى للأحكام، ومشيرا بعناية إلى بعض الآداب السلوكية التى يمكن اشتقاقها من التدبر فى معانى الأحكام

الفقهية. واضعا نصب أعين الدارسين الشروط اللازمة التى اشترطها العلماء عند الكلام على هذا النوع من الفقه، وجماعها فى قولـه حفظه الله "ألا يكرّ استنباط السرّ على الأصل بالبطلان"، بمعنى ألا تكر الإشارة على العبارة أو على الظاهر بالبطلان والفساد.

١- واستطرد فضيلته بعد بيان هذا الشرط الهام إلى بعض التطبيقات خاصة فى مجال العبادات كالطهارة والوضوء مبينا كيف يكون المعنى الصوفى مقبولا غير متعارض مع الأصل الظاهر. فالوضوء ظاهره هو الفرائض الستة المعلومة من غسل الوجه واليدين إلى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب مع النية. أما باطنه فيبدأ فى درجات أننا نتطهر أى نتخلص من الذنوب واستدل فضيلته لذلك بالكتاب والسنة مبينا أن هناك تنظيرا للحس ومقابلة له. وعلى الجانب الآخر يضرب الشيخ الأمثلة لما يمكن أن يدعيه البعض مبينا أن هذه الأقوال باطلة وأنها تكر على الأصل بالبطلان كمن يقول أنا لا أحب إلا الله وليس فى قلبى سواه فأنا طاهرٌ على الحقيقة، فلا أحتاج إلى وضوئكم الظاهرى هذا. وهذا ما تقول به الباطنية.

٢- وهنا استفاض فى شرح الفرق بين الصوفية والباطنية مبينا فضائح الباطنية ومشيرا إلى أهم المراجع التى تحدثت فى مثل هذا الموضوع. كما تعرض فضيلته لقضية من أخطر القضايا ألا وهى قضية سقوط التكاليف موضحا أن هذه هى أحد أسباب السمعة السيئة – أى ادّعاء سقوط التكاليف - التى استُغِلّت فيما بعد لهدم مرتبة الإحسان بالكلية من دين المسلمين.

٣- ثم تطرق مولانا إلى موضوع من أخطر الموضوعات التى تتفرع عن الفروق بين الصوفية والباطنية وهو أن الصوفية تتعامل مع نفس الأمر ولكن بالشروط السالف ذكرها مبينا خطأ الباطنية أو المنحرفين وأهمية الطريق إلى الله. والحديث عن نفس الأمر له تفاصيل تعرض لها الشيخ فى المحاضرة الأخيرة حول أصول الفقه.

٤- ولما كان ذلك يقتضى بالضرورة فهم الأمور على نصابها الصحيح فكان لابد أن يقف الشيوخ والمريدون على معايير اختيار الطرق الموصلة إلى الله فقام الشيخ .. حفظه الله .. ببيانها بكل دقة مزيلا كل التباس فى أذهان الدارسين، وموضحا أن التفاضل بين الطرق على أمرين أساسيين: قُربُها من السنة، وقُربُهَا من اليُسر والرفق، وأن الفقه الصوفى على درجات ترتبط بأنواع النفوس لأن إدراكات النفس البشرية تختلف فى مستويات الفهم والتقبل والترقى والتلقى.

٥- وفى ختام هذا اللقاء نوه مولانا إلى أحد الآداب السلوكية المطلوبة مبينا أن المقصود من وراء هذه المحاضرات ليس الكم أو العدد أو التطويل فى وقت المحاضرات، وإنما هو الفائدة، قائلا: " .. فالله تعالى لا يمل حتى تملوا. فليعبد أحدكم ربه طاقته. وأن نقصد بذلك وجه الله ولا نقصد تحصيل الاستمتاع ولو كان فى العبادة" ثم بين فضيلته أنه قد يجد المريد المتعة فى الذكر وتجد الشيخ يأمره بالامتناع عنه، ذلك لأنه يمارسه وفى قلبه شئ من الدنيا وهو حب الاستمتاع، فليُتدبر.

المحاضرة الرابعة:

وقام الشيخ فى هذا اللقاء بتدريب الدارسين على التعامل مع مراجع الصوفية وكيفية قراءتها وتدبرها وفهم الإشارة خلف العبارة للوقوف على معانى الأشياء ومقاصدها ومآلاتها وحقائقها، فهذا هو الذى يميز الفقه الصوفى عن الفقه الظاهر. فضرب الشيخ كعادته المثال للبيان وأوضح نماذج للحيل الشرعية وأنها وإن كانت صورها صحيحة إنما تكر على المقصد بالبطلان. وخلص من ذلك إلى أن معنى المتصوف هو الذى يسعى إلى المعانى والأسرار والأنوار والمآلات والمقاصد وروح الشريعة ولا يرتكب الحيل ولا الوقوف عند الظاهر ولا التوسل بالحرام إلى الحلال.

١- واختار فضيلته كتاب "الأكياس والمغترين" للحكيم الترمذى فقام بشرح معنى العنوان والمقصد منه وأن المتمسك بظاهر الشريعة فقط دون الوصول إلى جوهرها ولبها ومرادها ومقصدها وما تؤول إليه من المُغْتَرِّينَ بالله لأنه جمع بين أمرين: الطاعة الظاهرة للأوامر والنواهى، وعدم الوصول إلى مقصد الشرع. وفى مقابلة المغتر " الكيس " لقول النبى ﷺ ﴿ المؤمنُ كَيِّس فَطِن ﴾ ، والكيس هو الذى يُدركُ مُرَادَ الله والذى إذا ما أقام ذلك الظاهر على نفسه أقامه وتغيا به وهدف به وأراد به وقصد به مراد الله من هذا التشريع.

٢- وهنا ألمح مولانا إلى أنه لابد وأن نهتم بالإشارة مع العبارة، فالعبارة هى الظاهرة، والإشارة هى ما يتبع ذلك ويُفْهَم منه شئيا فشيئا.

٣- وألقى الشيخ الضوء على بعض أحوال المغترين وكيفية علاجها ضاربا مثالا لذلك بباب الوضوء من خلال كلام الحكيم الترمذى حيث بين أن المطلوب ألا يتم الاهتمام بالشكل وحده، وألا يغتر به دون النظر إلى معناه..إلى مآله..إلى مَقْصِدِهِ ومنتهاه. كمن اغتصب ماء فتوضأ فاغتر به وجعله وهو حرام وسيلة إلى الحلال، وأيضا فالمغتر من يصلى بلا خشوع وكذلك مثاله من احتال على الربا والزكاة ثم عجز عن الوفاء بها فلا تستطيع نفسه أن تدفعها طيبة فهو يريد أن يعطى باليمين ويأخذ بالشمال فقصر وأصبح لاهيا عن العناية بها وأقبل على أشكالها ومنهم أيضا من أهمل هذا كله وأقبل على فرض الوضوء يصب الماء ويترك آداب الوضوء لأن الوضوء عنده إثبات حالة وأقبل على صب الماء وليس فى ذهنه ما هو سر هذا الوضوء وما روحه وماذا سوف يفعل فيه وما معناه وإلى من سوف يذهب الآن. لم يدرك أنه وضوء حسى فى مقابلته تطهر معنوى، فلم يستعد له.

المحاضرة الخامسة:

وهى من المحاضرات ذات الطبيعة الخاصة والتى يندر أن توجد مجموعة بين دفتين، إضافة إلى صعوبة أن يجد الدارس فيها متحدثا كفضيلة الشيخ على جمعة بسعة أفقه ودقة علومه. ولقد ألقاها فضيلته فى بداية تدريسه لمقرر أصول الفقه مبينا هذا العلم من منظور صوفى حيث بدأها برسم خريطة المعرفة البشرية وبيان مصادر هذه المعرفة البشرية للإنسان وتلخيصها فى مصدرين رئيسيين هما الوحى والكون وأنه من أيهما بدأت وصلت مستدلا فى ذلك بصدر سورة الرحمن وسورة

العلق. وركزت هذه المحاضرة على الكون وما به من عوالم كمصادر للمعرفة البشرية وارتباط ذلك بأصول الفقه وبالمنهج الصوفى مع ضرب الأمثلة لكل مقام.

١. فقسم فضيلته الواقع المحسوس إلى عوالم أربعة أساسية واستطرد فى بيان كل منها مع التوضيح بالأمثلة، مؤكدا أن الأمر لا يقف عليها فقط وإنما يمكن وجود عوالم غيرها تزيد عليها مثل عالم النظم الذى زاد مؤخرا فى العصر الحالى.

٢. أول هذه العوالم عالم الأشياء وهو مستوى الواقع المحسوس – مستوى نفس الأمر، مبينا أن الشرع الحنيف وإن كان يقبل نفس الأمر بشروط إلا أنه عندما عَلَّقَ أحكَامَهُ علقها على الواقع المحسوس الظاهر لأن الشرع خاطب كُلَّ الناس..خاطب الجميع مع مراعاة جهات التَّغيُّر: الزمان / المكان / الأحوال / الأشخاص. ومن ذلك أكد فضيلته على المنهج السليم الذى ينادى به الصوفية مَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتحقَّق فقد تفسَّق، وَمَنْ تحقَّق وَلَمْ يَتشَرَّعَ فقد تزندق.

٣. ثانى العوالم عالم الأشخاص: فالأشخاص لهم أحوال كثيرة: كبير /صغير- مسلم/كافر-ذكر/انثى...إلخ.

٤. والعالم الثالث عالم الأحداث: أى كيف تقف إزاء الأحداث.

٥. أما العالم الرابع فكان عالم الأفكار: التعامل مع الأفكار فلا نرفضها ونلقى بها ولكن نستغلها كى يعرف المسلم كيف يخاطب غير المسلمين.

٦. هذا هو الواقع .. الوجود بعوالمه المختلفة يحتاج إلى إدراكه وفهمه إلى مجموعة من العلوم مثل الكيمياء والفيزياء والفلك والاجتماع وغيرها.

٧. ثم انتقل إلى بيان الوحى كمصدر للمعرفة البشرية مركزا على أن فهم الوحى لا يتم إلا بأدوات استعملها الصحابة فمن بعدهم جمعها الشافعى رحمه الله فى ما يسمى بعلم أصول الفقه والذى هو الأداة التى بها الفهم مختتما فضيلته المحاضرة بمقولة هامة : "أصول الفقه أى هو النظارة التى ارتديتها حتى أرى بها النص الشريف وبدونها لا أرى شيئا".

المنهج العام للشيخ فى محاضرات الفقه الصوفى وأصوله:

١- يركز الشيخ فى محاضراته على أن أصول الفقه هو الأداة التى بها الفهم فهو يلخص كل الأدوات التى استعملها الصحابة فمن بعدهم حتى نفهم الوحى والتى قام الإمام الشافعى ﷺ بتقعيدها كى يستطيع المسلم أن يقرأ قراءة صحيحة للقرآن والسنة.

٢- دائما ما يلفت فضيلته نظر الدارسين إلى أن أول درجات الفقه التمييز بين الصور وأنه إذا لم يتم التمييز بين الصور فعلى الدارس أن يختار تخصصا آخر غير الفقه. فلا يصح التخصص فى الفقه لمن لا يستطيع التمييز بين الصور لأن مبنى الفقه هو التمييز بين الصور. وهذا يحتاج إلى تدريب لكى يكون الدارس فقيها.

٣- فى كل مناسبة يلقى فضيلته الضوء على أهمية التفريق بين الصوفية الحق وبين الباطنية أو أى شئ آخر ويحث الدارسين على ضرورة الوقوف على ذلك تفصيليا لكى يستطيعون التصدى لمحاولات الإساءة إلى الصوفية والإسلام.

٤- نظرا لأن الشيخ موسوعى فكان لا يترك فرصة إلا ويوجه نظر الدارسين إلى المراجع والمؤلفات الضرورية فى كل التخصصات، وإن كان هناك متسع من الوقت فيتحدث عن هذه المراجع.

٥- كلما حانت الفرصة كان الشيخ يوجه إلى ضرورة التكامل فى العلوم وإلمام الدارسين لشبكة المعلومات ومصادر المعارف البشرية وربط بعضها بالبعض.

٦- لا يترك موضوعا من الموضوعات إلا ويضرب له الأمثلة الشارحة للفكرة وبقدر الإمكان تكون هذه الأمثلة من الواقع المعيش.

٧- التحليل العلمى المنهجى الأكاديمى كان من أخطر القضايا التى بثها فى نفوس الدارسين مغذيا عقولهم بها رفعا لمستوى الدارسين فى محاولة لاستعادة الدور المطلوب منهم مع التركيز على المنهج السُّنِّى الأزهرى بالبحث فى أعماق الأمور ظاهرا وباطنا.

٨- بيان خطأ الذين منعوا دراسة التصوف والفقه الصوفى والعقيدة الصوفية والتفسير الصوفى وأنهم ارتكبوا جريمة شنعاء لأنهم منعوا الناس من تعلم الثلث الأخير من دينهم الذى يوصلهم إلى ربهم، وهو مقام الإحسان.

وختاما فالشكر كل الشكر للشيخ الجليل أ . د . على جمعة على تفضله بالموافقة على إلقاء هذه المحاضرات والموافقة على نشرها حسبة لوجه الله تعالى، كما أتوجه إلى راعى أسرتنا أ . د . محمد مهنا، وأعضاء المكتب الفنى بالمعهد، وإلى كل زملائى بالمعهد بخالص الشكر والتقدير على ما قدموه من عون خالص لإخراج هذا العمل بصورة لائقة مشرفة وأخص منهم مجموعة العمل الزميلة إيمان داود، والزميل سيد حسين، والزميلة فاطمة الزهراء والزميل أحمد صالح لإسهامهم فى إخراج هذا العمل، جعل الله تعالى عملنا فى ميزان حسناتنا يوم نلقاه. وختامه مسك توجيه خالص الشكر وعظيم التقدير لفضيلة الشيخ الجليل الرائد الحالى للعشيرة المحمدية محمد عصام الدين على كل ما بذله ويبذله من أجل الحفاظ على هذا الكيان.

وما بهذا العمل من نقص أو تقصير فهو من أنفسنا، وما به من كمال فهو لله وحده، فنسأل المولى سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يجعله مباركا ويعم به النفع للمسلمين وأن يرزقنا محبته ومحبة نبيه ﷺ وأن يجعلنا من العارفين به وأن يخرجنا من دائرة سخطه إلى دائرة رضاه وأن يرضى عنا برضاه، وأن يفيض سبحانه وتعالى علينا من خزائن رحمته ومن خزائن علومه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ورضى الله عن إخواننا ومشايخنا فى الله أجمعين.

د . موسى محمود شومان

الدارس بالمعهد ومقرر عام أسرة الرائد

القاهرة فى: العشرين من صفر ١٤٢٧هـ
الموافـق: العشرين من مارس ٢٠٠٧م

يا سيِّدا أضحى فَرِيدَ زمَانِه

ودليلُ ما قد قلتُه الإجماعُ

ما في الزّمانِ سواكَ يُلْفَى عالما

صحَّت بذاك إجازةٌ وسَماعُ

الخيرُ فيك تَوَاتَرت أخبارُه

وهو الصحيحُ وليسَ فيه نِزَاعُ

محاضرات في

الفقه الصوفي للأحكام

(نص التسجيل الصوتي)

لفضيلة الشيخ العالم الجليل الأستاذ الدكتور

على جمعة محمد الشافعى

مفتي الديار المصرية

وأستاذ أصول الفقه بالأزهر الشريف

عناصر المحاضرة وأفكارها

اعتاد **المنهج السُّنِّيَ الأزهري** عندما يبحثُ فى الأمور أن يبحثَ فى أعماقها ظاهرا وباطنا.

ولذلك يبدأ فى دراسة الكلمة، العلاقات التى بين هذه الكلمات بعضها مع بعض:

وصولا إلى **شبكة المعلومات**.

فائدة هذه الشبكة:

- يستطيعُ بها الإنسان أن يفهم أشياء كثيرة.
- القدرة على استعمالها فى الفهم وفى ربط المعلومات بعضها ببعض وفى توليد المعلومات منها.

أى:

١- نفهم ماذا تعنى كلمة ما.

٢- ونفهم أيضا المنهج الذى نتعامل به مع الأشياء ومع المفاهيم ومع المصطلحات.

٣- ونفهم ثالثا الجمل المفيدة والمسائل التى سوف تكون تحت عنوان هذه الكلمة.

تطبيقات: كلمة **الفقه ظاهرا وباطنا**.

ظاهرا وهو البناء من الخارج أى نقف على معناها لغة واصطلاحا.

الفقه لغة: ثلاثة معانى مطلق الفهم - فهم الشيء الدقيق - فهم كلام المتكلم.

قال العلماء: والراجح أنها تعنى الفهم مطلقا.

الفقه اصطلاحا: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبُ من أدلتها التفصيلية.

وهذا يحتاج إلى دراسة وتحليل كل كلمة من كلمات التعريف مثل: العلم فلابد أن يكون فى ذهنك خريطتين للعلم: مطلق الإدراك أو الإطلاق الجازم .... إلخ. - بالأحكام أى النسبة التامة

أو خطاب الله .... إلخ. واخترنا النسبة التامة – ثم هى الشرعية أى المنسوبة إلى الشرع. وهكذا. فعرفنا الفقه لغة واصطلاحا وطوفنا فى بناء الشبكة التى ذكرناها.

باطنا نقف على معانى مفرداتها وهو ما يأتى فى التحليل الصوفى للفقه. أى الفقه الصوفى. وهو الحقيقة. ومـن الكـلمات المطلوب الوقوف عليها: الفهم – اليقين – الله – الوجود – التكليف – ... وهكذا هناك مجموعة ألفاظ من الشبكة السابقة.

الله: الوجود الحق وهو الحقيقة الوحيدة إذا أيقنت بقيوميته للسماوات والأرض وأنها تستمر به سبحانه وتعالى فقد بدأنا فى فهم حقيقة الكون: أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وأنه لا شريك لـــه – لا يحـتاج إلى غـيره – لا بداية لــه – لا نهاية لــه – لا مثيل لــه لا يشبه الحـوادث ولا تشـبه الحوادث. وهذه هى الصفات السلبية وهى خمس صفات. وبذلك تكون قد فهمت.

ولـو عرف الإنسان هذه الحقيقة لأثر ذلك فى سلوكه. فيصبح متعلقا جدا بالله ومتوكلا جدا على الله ويكون عنده رضى وتسليم ورهبة من الله وحب فى الله وحسن توكل على الله. وتـبدأ المعـانى تـتفجر فى قلبه من خلال هذه الكلمة **الله**. وبذلك نكون قد **فهمنا**. فالفهم أحد الكلمات المراد بيانها

نص المحاضرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

على بركة الله نبدأ الفقه الصوفى للأحكام.

اعتاد المنهج السنّىَ الأزهرى عندما يبحثُ فى الأمور أن يبحثَ فى أعماقها ظاهرا وباطنا.

ولذلك يبدأ فى دراسة الكلمة ثم يأخذ كل كلمة من التفسير فيدرسه، ويدرس العلاقات التى بين هذه الكلمات بعضها مع بعض حتى يصل إلى ما يمكن أن نسميه بشبكة المعلومات.

وهذه الشبكة يستطيع بها الإنسان أن يفهم أشياء كثيرة. ولذلك لما تكلموا عن هذه الشبكات وأكملوها فى ذهن الدارس أصبح قادرا على استعمال هذه الأدوات – الشبكات – فى الفهم وفى ربط المعلومات بعضها ببعض وفى توليد المعلومات من هذه الشبكات.

ولذلك مثلا وعلى سبيل المثال نعيشُ مع هذه الكلمة – الفقه – من أجل أن نفهم ماذا تعنى، ونفهم أيضا المنهج الذى نتعامل به مع الأشياء ومع المفاهيم ومع المصطلحات، ونفهم ثالثا الجمل المفيدة والمسائل التى سوف تكون تحت هذا العنوان: الفقه الصوفى للأحكام. **فيبدأ بمعنى الفقه**.

فنتعامل مع هذا اللفظ (الكلمة) ظاهرا وباطنا. ظاهرا أى نُعَرِّفها لغة واصطلاحا، وباطنا أى نفهم الفقه الصوفى.

الفقه ظاهرا:

والفقـــه لفظ لـــه دلالة فى لغة العرب، والفقه لفظ لـــه دلالة فى اصطلاح العلوم والفنون التى نشأت بعد ذلك[1]:

الفقه لغة:

نرى النَّقَلة للعربية يجعلون هذه الكلمة بإزاء ثلاثة معانٍ:

١- يجعلونها بإزاء مطلق الفهم. أى أن معناها يساوى معنى الفهم.

فَقِهَ أى فَهِمَ

٢- الــبعض أضـــاف إلى ما سبق معنى أدق منه وهو فهم الشئ الدقيق. فـــيكون الفقـــه أحد أنواع الفهم، وليس مساويا لـــه. لأن فَقِهَ لا تأتى مع الأشـــياء الواضـــحة البيـــنة فلا يستطيع الإنسان حينئذ أن يقول فَقِهتُ أن السماء فوقى وأن الأرض تحتى" لأن كون السماء فوق وكون الأرض تحت من الأشياء البينة الواضحة التى لا تحتاج إلى دليل.

وَلا يَصِحُّ فى الأفْهَامِ شَئٌ إذَا ما احْتَاجَ النَّهَارُ إلى دَلِيل

---

١) ولقد جرت عادة العلماء أن يتم التعريف لغة واصطلاحا (عرفا). أى التعريف من الناحية اللغوية فى لغة العرب فهو أعم وأشمل، وكذلك التعريف الاصطلاحى وهو بصفة عامـــة اتفاق طائفة من أهل فن معين على أمر مخصوص. أى أن الاصطلاح هو وضع المفـــرد بإزاء معنى. وأى تعريف لابد وأن يكون جامعا (لكل أفراده) مانعا (من دخول غـــير مفـــرداته). وقـــال الشـــيخ محمد عبد المنعم القيعي فى (قانون الفكر الإسلامى) "الـــتعريف إما بالحد أو الرسم أو شرح اللفظ. وعلى المعرِّف أن يلتزم شروط التعريف الجـــامع المـــانع. ويكـــتفى فى عرض الحقائق بالرسم أو شرح اللفظ لئلا تضيع وراء معـــارك لفظـــية ومحاورات بيزنطية لا فائدة منها. والحد لا يبرهن عليه لأن البرهان واسطة ولا واسطة بين التعريف والمعرَّف ... والحد ما كان بالجنس والفصل والرسم مـــا كـــان بالجـــنس والخاصَّـــة أما شرح اللفظ فهو تبديل لفظ على أن يحل محله لفظ معروف لدى المخاطب". وقال العلماء "لا مُشَاحة فى الاصطلاح".

أى أننا فى النهار فنقول إن هذا نهار فتسألنى أين دليلك؟ فبهذا لا يستقيم التفكير ولا يستقيم الكلام أن تسأل عن المسلمات البدهيات التى عرف فيها كلُّ أحد أن ضياء الشمس عندما يخرج ويعود الدنيا فهو نهار وعندما تغيب فهو ليل. ولذلك لا نستطيع أن نقول فقِهتُ أننا فى الليل أو أننا الآن فى النهار[2].

٣- فهم كلام المتكلم. وهذا معنى أخص لأنه ليس فقط قاصرا على المعنى الدقيق، بل فاهم أننى أسمع متكلما ما فأفهم كلامه ومراده. وفى هذه الحالة سوف تدخل القرينة من ضمن الفقه. فلا يمكن أبدا أن أفهم كلامك إلا إذا كنت أفهم لغتك وأفهم طريقة أدائك لهذه اللغة وأفهم مرادك من استعمالك للمفردات والتراكيب وأفهم هل أنت تسخر أو أنك تسأل أو أنك تقرر أو أنك تستنكر من كلامك هذا. فإذا فهمت كلام المتكلم وقصده من كلامه فقد فقهت فلا يكون الفقه فقط أنى أدرك شيئا بعقلى بل لابد فيه من تحليل شئ قد تلقيته إما سماعا وإما قراءة وإما بأى وسيلة كانت من وسائل التَّحَمُّل.

هذه هى المعانى الثلاثة التى نُقِلت فى اللغة عن معنى كلمة فقه أو فقِهَ.

الراجح: قال العلماء والراجح أنها تعنى الفهم مطلقا. والراجح هنا معناه أن أكثر العلماء النَّقلة عن العرب جعلوا فقِهَ كـ (فهِمَ). ولم يجعلوها للفهم الدقيق وحده أو لفهم كلام وقصد المتكلم من كلامه وحده[3].

---

٢) قال الإمام البوصيرى فى بردة المديح:
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِن رَّمَدٍ — وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَآءِ مِنْ سَقَمِ

٣) ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ ﴾ (هود ٩١)، وسيدنا شعيب عليه السلام هنا يقول كلاما عاديا.

حركاتها: ونرى فى لغة العرب أنها على ثلاث حركات:

فَقُهَ - فَقِهَ - فَقَهَ

وهـذه القضـية كـون أن هناك فعلا يكون بالكسر ثم نراه بالفتح ثم نراهُ بالضـم فـى عينه (عين الفعل على وزن فعل) موجود فى لغة العرب. أى ورد فى لغة العرب بثلاث حركات[4]:

فَقِهَ	فهِمَ وهو الراجح من معانيها الثلاث.
فَقَهَ	* أى أنه غلب غيره فى الفهم أى سبق غيره إلى الفهم. مـثلا ألقيت عليهم قضية ففهمها هذا أسرع من أخيه بالرغم من أنها ألقيت عليهم مرة واحدة. * مـثال: ﴿...أَلاَ إِنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَدْ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَـا عِـنْدَ اللَّهِ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَظَنَّ أَنَّهُ يَعْنِى نَفْسَـهُ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ :« عَلَى رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ... ﴾ فأبو بكر فقَهَ أى أدرك بأسرع مما يدركه الباقون[5].

---

٤) وفى حاشية الدمياطى الشافعى على شرح جلال الدين المحلى على الورقات للإمام الجوينى: "يقال فَقِهَ كفهِمَ وزنا ومعنى، وفقَهَ كفتَحَ إذا سبق غيره فى الفقه، وفقُهَ ككرم إذا صار الفقه لـه سجية" أ.هـ. أى بالكسر ثم الفتح ثم الضم فانتبه.

٥) تمـام الحديث فى مقدمة الدارمي: أَخْبَرَنَا فَرْوَةُ بْنُ أَبِى الْمَغْرَاءِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُخْـتَارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ النَّبِىُّ -صـلى الله عليه وسلم- فِى مَرَضِهِ :« صُبُّوا عَلَىَّ سَبْعَ قِرَبٍ مِنْ سَبْعِ آبَارٍ شَتَّى حَتَّى أَخْـرُجَ إِلَـى الـنَّاسِ فَأَعْهَدَ إِلَيْهِمْ ». قَالَتْ : فَأَقْعَدْنَاهُ فِى مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ فَصَبَبْنَا عَلَيْهِ الْمَـاءَ صَبًّا أَوْ شَنَنَّا عَلَيْهِ شَنًّا - الشَّكُّ مِنْ قِبَلِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ - فَوَجَدَ رَاحَةً فَخَرَجَ فَصَـعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لِلشُّهَدَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أُحُدٍ وَدَعَا لَهُمْ ، ثُمَّ قَـالَ :« أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الأَنْصَارَ عَيْبَتِى الَّتِى أَوَيْتُ إِلَيْهَا ، فَأَكْرِمُوا كَرِيمَهُمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِـيئِهِمْ إِلاَّ فِـى حَـدٍّ ، أَلاَ إِنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَدْ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَظَنَّ أَنَّهُ يَعْنِى نَفْسَهُ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ :« عَلَى رِسْلِكَ يَـا أَبَـا بَكْرٍ ، سُدُّوا هَذِهِ الأَبْوَابَ الشَّوَارِعَ إِلَى الْمَسْجِدِ إِلاَّ بَابَ أَبِى بَكْرٍ ، فَإِنِّى لاَ أَعْلَمُ امْرَأً أَفْضَلَ عِنْدِى يَداً فِى الصُّحْبَةِ مِنْ أَبِى بَكْرٍ ».

	مـــثال آخر: ذكر النبى ﷺ أن هناك نباتا هذا النبات كالإنسان فخطـــر فـــى خاطر ابن عمر أنـها النخلة، فهذا يكون قد فقهَ. لأنـــه بمجـــرد أن جاء بهذا التشبيه أغْلِقَ على الآخرين لكنه فُتِحَ بهذا الفهم على ابن عمر[٦]. * وفقهَ من مجموعة أفعال يقالُ لها **أفعال الغَلَبَة** ومعناها أنك قد غَلَبْت غيرك فى تلك الصفة.
فَقُهَ	* وفقُـــهَ من مجموعة أفعال يقالُ لها **أفعال السَّجَايا** أى صار الفقه لك سَجِيَّة وَمَلَكَة وطبع بحيثُ أن هذا الطبع لا ينفك عنك ولا تنفك عنه وأصبح كالفن. * والســـجية معـــناها المَلَكَة **والملكة** هى: كيفيةٌ راسخةٌ فى النفس بها تُدْرَكُ النفس المعلومات. * فالفقـــه عندما يصير لك سجية وتصبح متمكنا من إدراكه ســـريعا فـــتعرض عليك المسائل فإذ بك تعرف أغوارها فورا وماذا تترتب عليه وماذا ستكون هنا أو هناك...إلخ. فهذه هى أفعـــال الســـجايا. أى أن الصـــفة الـــتى تؤخذ من هذا الفعل أصـــبحت صـــفة أو سجية أو مَلَكَةً عند الإنسان الذى اتصف بها. * مقـــال: كَـــرُمَ أى صار الكرم له سجية – شَجُعَ أى صارت الشجاعة له سجية...إلخ.

ما سبق كان عن المعنى اللغوى للفقه[٧]، وماذا عن المعنى الاصطلاحى: هل ينطبق عليه نفس الكلام؟

---

٦) وتمـــام الحديث: "حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِيـــنَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْـــقُطُ وَرَقُهَـــا وَإِنَّهَا= مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ" (خ).

٧) فَقِـــهَ الأمـــر: أحســـنَ إدراكه وفَقِهَ عنه الكلام فَهِمَهُ فهو فَقِهٌ، وفَقُهَ صار فقيها، والفَقِيه العالمُ الفَطِن والعالم بأصول الشريعة وأحكامها (معجس).

الفقه اصطلاحا:

الفقه هو[8]:

العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبُ من أدلتها التفصيلية

إذن الفقه هو علمٌ من العلوم..أى أنه فن من الفنون..أى يحتاج إلى تخصص.

ومعنى أن علما ما استقل بنفسه أى أن له منهجا وأن له مسائل وأن له أبوابا وكتبا وترتيبا وأن له طرقا للاستنباط وأن له فائدة وأن له واضعا لهذا العلم، وهكذا فيما يسمى بالمبادئ العشرة للعلوم.

فالمبادئ العشرة للعلوم[9] معناها أن فنًا ما قد أصبح مستقلا وتخصصا قائما بذاته له دارسوه يدرسونه من البداية إلى النهاية من أجل فائدة معينة بوضع معين وترتيب معين لموضوع معين وهكذا.

ونبدأ فى تحليلِ كل كلمة من كلمات التعريف الاصطلاحى لبناء شبكة المعلومات.

---

٨) لمزيد من التفاصيل راجع "الحكم الشرعى عند الأصوليين" للدكتور على جمعة محمد، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٢، وكذلك "علم أصول الفقه" للدكتور عبد الوهاب خلاف، دار القلم، الكويت، ١٩٨٨.

٩) ولقد جمع البعض هذه المبادئ فى نظم كالتالى:

فاعْلَم مَبَادِئَ كُل فَنٍّ عَشَرَة ... الحَدُّ و المَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَة
وَ فَضْلُهُ و نِسبَةٌ وَ الوَاضِعُ ... وَ الاسْمُ الاستِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِع
مَسَائِلٌ وَ البَعْضُ بِالبَعْضِ اكتَفَى ... وَمَنْ دَرَى الجَمِيعَ حَازَ الشَّرَفَ

أى أننا نقول إن الفقه هو: علم ..... فما العلم؟ وهذه هى الطريقة الأزهرية القديمة. إذا كان الفقه هو العلم فيقف عند العلم فيقول: وما العلم؟

العلم:

يطلق بإطلاقين، بالمعنى الأعم وبالمعنى الأخص:

١- مطلقُ الإدراك. وهو المعنى الأعم[١٠].

٢- الإدراك الجازم الثابت المطابق للواقع الناشئ عن دليل: وهو بمعناه الأخص.

ونتحدث عن كل منهما بشئ من التفصيل:

١ - مطلقُ الإدراك.

أى أن العلم يساوى الإدراك[١١]. وطالما أنه جاء بكلمة (مطلق) إذن هناك تقسيمة معينة ولكنه يتحرر من هذه التقسيمة.

أى أنه يشمل كل أنواع المَقْسِم.

---

١٠) وفى حاشية الصبان على السلم "المراد بالعلم مطلق الإدراك"، وفى التعريفات للجرجانى " ... وقيل العلم هو إدراك الشئ على ما هو به"، وكذلك أورد الجرجانى فى تعريفاته العديد من الآراء التى قيلت حول تعريف العلم.

١١) وقال صاحب السلم:

إدْرَاكُ مُفْرَدٍ تَصَورا عُلِم ... وَدَرْكُ نِسْبَةٍ بِتَصْدِيقٍ وُسِم

فالإدراك تصور وتصديق. أما التصور فهو حصول صورة الشئ فى الذهن "إدراك المفرد" من غير حكم عليه بنفى أو إثبات "كإدراك زيد" أما التصديق فهو إدراك النسبة بين الطرفين أى أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة أى الإذعان لذلك "نحو محمد عالم" (راجع حاشية الصبان على السلم المنورق، وقانون الفكر الإسلامى للقيعى).

❑ فنسأل: وما الإدراك؟

يقول: الإدراك هو حصول صورة الشئ فى الذّهن.

* انتبه فهو يأخذ الكلمة ويتسلسل معها واحدة واحدة.

❑ فنسأل: وما الشئ؟

☒ عـــند أهل السنة والجماعة: (الأشاعرة) الشئ يطلق على الموجود، سواءٌ أكان واجبا أو ممكنا.

☒ فكلمـــة شـــئ تُطلق على الله، قال تعالى ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ ﴾ (الأنعام١٩) أى أن كلمة شئ تطلق على واجب الوجود سبحانه وتعالى.

وتطلـــق على الموجود من الممكن : قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّـــه عَلَـــى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الــبقرة٢٠) أى على الممكنات.

ولا تطلق كلمة شئ على المعدوم ولا على المستحيل.

وهذه الثلاثة هى أحكام العقل نظمها كالتالى[١٢]:

أَقْسَامُ حُكْمِ الْعَقْلِ لاَ مَحالَـــة ... هِيَ الْوُجُوبُ ثُمَّ الاسْتِحَالَـــة
ثُمَّ الْجَوَازُ ثَالِثُ الأَقْسَامِ ... فَافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الإِفْهَامِ

---

١٢) ففـــى علم الكلام أقسام حكم العقل ثلاثة بينها الشيخ الدردير (ت١٢٠١هـــ) فى منظومته فى الخريدة البهية فى علم التوحيد، مطبعة الحلبى.

فـالعقل لـه أحكـام ثلاثـة: الوجـوب والجـواز والاستحالة.

الوجـوب هـو الله، فواجب الوجود هو الله. وممكن الوجـود هو الكائنات كلها فممكن أن تكون موجودة وممكـن أن تكـون معدومـة. والمستحيل لا يمكن وجوده.

والشـئ هـو الموجود سواء أكان واجبا أو ممكنا. واللاشئ هو المعدوم.

والسؤال هو هل هذا باتفاق المسلمين؟ قالوا لا، فاختلفت فيه الأشاعرة مع المعتزلة[13].

☒ عـند المعتزلة[14]: الشئ هو الممكن سواء كان موجودا أو معدوما. ولا يسمى الله شيئا ولا يسمى المستحيل شيئا.

* ونتساءل: هل هذا الاختلاف مفيد وهل قول المعتزلة مفيد؟

---

١٣) الأشاعرة والمعتزلة فرقتان من الفرق الإسلامية فى علم الكلام. ويمثل الأشاعرة مـع الماتريدية والمحدثين أهل السنة والجماعة، وتفاصيل ذلك يرجع إليه فى "المدخل إلى علم الكلام" للدكتور حسن الشافعى، مطبعة وهبة، القاهرة، ١٩٩١، وكذلك "حاشية البـيجورى علـى جوهـرة التوحيد" تحقيق الدكتور على جمعة، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٤) والخـلاف بين المعتزلة وأهل السنة والجماعة معلوم فى علم الكلام، ورغم ذلك فلقد خدم المعتزلة الإسلام خدمات عظيمة بتصديهم لعديد من الأفكار المنحرفة. (راجع المدخل إلى علم الكلام، مرجع سابق).

* الإجابة: نعم إنه مفيد جدا مع الفلاسفة. لأن الفلاسفة يقولون كيف يخلق اللهُ العالمَ من العدم! كيف تتوجه قدرته إلى عدم! كيف ذلك وهو عدم فكيف تتوجه قدرته إليه، فهم لا يتصورون ذلك. فـرد علـيهم المعـتزلة قـائلين لهم: هونوا على أنفسكم أيتها الفلاسـفة..العدمُ شيء. والقدرة تتعلق بالشيء. فهل فهمتم أيتها الفلاسفة؟ قالوا: نعم.

ولذلـك أهـل السـنة والجماعـة يـأخذون هذا الكلام ضد الفلاسـفة..أى نترك مذهبنا ونستلف مذهب أولاد عمنا المعتزلة لكى نرد على الفلاسفة فيستطيعون أن يفهموا معنى أن الله على كل شيء قدير.

معـنى أن الله على كل شيء قدير أنه يخرج الحالة من عدمها إلى وجودها.

ونستخلص من هذا أن اللغة تؤثر فى المفاهيم.

❑ والذِّهْن؟

الذهـن[١٥] معـروف لكل أحد، وهو الدماغ، أو القوة المرتبطة به.

❑ والحصول؟

كلمـة الحصول والكينونة وما إلى ذلك هى كلمات لا تعـريف لهـا. لأنهـا بداهة كل واحد يفهمها بأصل تركيبته اللغوية ولا تحتاج إلى تعريف.

---

١٥) الذِّهْـنُ الفَهْـمُ والعقلُ ، والجمع أذهان. وفى الاصطلاح العلمى ما بـه الشعور بالظواهـر النفسـية المخـتلفة ويطلق أيضا على التفكير وقوانينه أو مجرد الاستعداد للإدراك. وذَهِنَ الشئَ فهمه وعَقَلَه (معجس).

فالـتعريف للأشياء التى يكون فيها خفاء. ولكن هذه الكلمات لا خفاء فيها.

وبذلك نكون قد وصلنا إلى النهاية وهى:

العلم هو مطلق الإدراك،
وأن الإدراك هو حصول الشئ فى الذهن،
وأن الشئ يطلق عند الأشاعرة على الموجود سواء كان واجبا أو كان ممكنا
ويطلق عند المعتزلة على الممكن سواء كان موجودا أو معدوما،
ويطلق عند سيبويه فى اللغة على الثلاثة (الواجب والممكن والمستحيل).

ويقول سيبويه فى الكتاب: وهذا معناه فى اللغة.

٢ - الإدراك الجازم الثابت المطابق للواقع الناشئ عن دليل: وهذا هو معناه الأخص.

فالإدراك نوعان: قطعى، وظنى:

إدراك قطعى أى ١٠٠%، وظنى أى أقل من ١٠٠% حتى ١% فقط.

والظنى على ثلاثة أقسام: ظن، وشك، ووهم. ويسمونه غير الجازم.

أمـا الجازم أى اليقين فهو نوعان: إما أن يكون ثابتا وإما أن يكون غير ثابـت. أى إمـا أن يكـون صحيحا أو فاسدا. وتأتى صحته أو فساده من مطابقته للواقع. فإذا كان مطابقا للواقع كان صحيحا أو غير مطابق للواقع فهو فاسد.

فاعــتقاد النصارى فى تثليث المسيح وصلبه هو اعتقاد لكنه غير مطابق للواقــع. واعــتقاد المســلمين فى توحيد الرب هو اعتقاد مطابق للواقع. ولذلــك فاعــتقاد المســلمين اعتقاد صحيح والآخر اعتقاد فاسد رغم أنه اعــتقاد لأنه جازم. فالاعتقاد الجازم يسمى اعتقادا سواء كان صحيحا أو كان فاسدا فإن طابق الواقع فصحيح، وإن خالف الواقع ففاسد.

والصــحيح إمـــا أن يكون عن دليل وإما أن يكون عن غير دليل. فإن كان عــن غــير دليل سمى تقليدا (مثل من يقلد إماما من الأئمة فلا يبحث عن دليل) إن كان عن دليل سُمِّى العلم.

فــالعلم هــو الإدراك الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل. وانتبه جيدا للقيود[16] كلها المرسومة فى الخريطة.

مرة أخرى:

<table dir="rtl">
<tr><td colspan="7">الإدراك</td></tr>
<tr><td colspan="4">قطعى (جازم) (يقين)
(يساوى ١٠٠%)</td><td colspan="3">ظنى (غير جازم)
(١%-أقل من ١٠٠%)</td></tr>
<tr><td colspan="3">مطابق للواقع (ثابت)
(صحيح)</td><td rowspan="2">غير مطابق
للواقع
(غير ثابت)
(فاسد)
(غير صحيح)</td><td rowspan="2">ظن</td><td rowspan="2">شك</td><td rowspan="2">وهم</td></tr>
<tr><td>ناشئ
عن دليل
(علم)</td><td></td><td>بغير
دليل
(تقليد)</td></tr>
</table>

١٦) والقــيود إمـــا لإخراج المحترزات أو لبيان الواقع، وهذا يُطلب تفصيله فى علم المنطق.

بالأحكام:

الحكـــم هو القضاء، وهو النسبة التامة أى الجملة المفيدة. وهو المقصود والمراد من الحكم فى هذا التعريف.

ولكـــن أيضـــا الحكم هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[17].

ولذلك نبين كلا منها أولا ثم نرجع للمقصود وهو النسبة التامة المفيدة.

ونبين كل منهما فيما يلى:

أولا: الحكم هو النسبة التامة:

وطالما ذكر أنها تامة فمعنى ذلك أن هناك ناقصة، فنحلل كل منهما:

١ – وما النسبة التامة (الجملة المفيدة)؟

هى التى درسناها فيما سبق وهى مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل[18].

أركان الجملة المفيدة ثلاثة: *موضوع – محمول – نسبة*.

أى أن تتكلم عن شئ معين (مبتدأ أو فاعل) وشئ تصف به هذا الموضوع (الخبر والفعل) وهناك علاقة بينهما وهى النسبة.

---

١٧) راجع "الحكم الشرعى عند الأصوليين" للدكتور على جمعة، مرجع سابق.

١٨) وتخـــتلف مصـــطلحاتها باخـــتلاف العلـــوم فهى المبتدأ والخبر عند النحويين، والمســـند إليه والمسند عند البلاغيين، والموضوع والمحمول عند المناطقة. فلابد من مراعاة الألفاظ من علم لآخر.

❑ والنسبة؟

والنسبة هى ثبوت أمر لأمر أو نفيه عنه[19].

مثال ذلك: الشجرة خضراء – الشجرة غير خضراء.

الشجرة مورقة – الشجرة غير مورقة.

الشمس ساطعة – الشمس آفلة غير ساطعة.

أى أن الكلام قد تم بالثبوت أو بالنفى.

❑ والثبوت؟

الثبوت إدراك النسبة على جهة الإيجاب.

أى أننا أثبتنا للشجرة الإيراق أى أنها مورقة، أى أننا أدركنا النسبة بين الشجرة وبين الإيراق وأنها على جهة الإيجاب.

❑ والنفى؟

النفى إدراك النسبة على جهة السلب.

أى أننا قلنا أن الشجرة غير مورقة.

---

19) وفى حاشية الصبان على السلم المنورق " هى ثبوت شئ لشئ أو انتفاؤه عنه، أى تعلقه به سواء كانت القضية موجبة أو سالبة ولذلك فالنسبة مورد الإيجاب والسلب فهى فى القضية الموجبة مثبته وفى السالبة منفية" وهناك تفصيل للنسبة الحكمية والنسبة الكلامية يرجع إليه فى علم المنطق.

وبذلــك نكــون قد التففنا لأننا قلنا أن النسبة ثبوت أمر ...... ثم قلـــنا إن الشـــبوت هو إدراك نسبة. وطالما حصل الــدوران هكذا نكون قد انتهينا أى أننا وجدنا أنفسنا قد استعملنا ما استعملناه سابقا فنكون بذلك قد وصلنا لآخر ما نستطيعه من التعريف. لذلك وجب الانتقال لشئ آخر.

٢ – وما النسبة الناقصة (عكس التامة)؟

مثل أن تقول : (الشجرة) أو تقول (إن جئتنى) فماذا يحدث بعد إن جئتنى، لم نذكره فتكون نسبة ناقصة.

فلابــد أن أكمــل النسبة وأقول مثلا : (إن جئتنى أكرمك). أى يكون هناك شئ كامل.

ثانــيا: الحكـــم هـــو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[٢٠]:

- **وما الخطاب؟**

توجيه الكلام[٢١].

٢٠) راجع "الحكم الشرعى عند الأصوليين" للدكتور على جمعة، مرجع سابق.

٢١) الخطــاب فى اللغة "توجيه الكلام المفيد إلى الغير بحيث يسمعه، والمراد به هنا المخاطــب به وهو الكلام المفيد الموجه إلى الغير من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول مجازا، علاقته الاشتقاق اللغوى. والخطاب جنس فى التعريف يشمل كل خطاب ســواء أكان لله أم للملائكة أم للإنس أم للجن وبإضافة الخطاب إلى لفظ الجلالة خرج خطــاب الملائكــة والإنس والجن فلا يعد حكما عند الأصوليين" (راجع "الحكم الشرعى عند الأصوليين" للدكتور على جمعة، مرجع سابق).

❑ **وما الله؟**

الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد.

هذا هو الله سبحانه وتعالى.

وهنا نتساءل: أين خطاب رسوله؟

خطاب الله مدلول عليه بالقرآن ومدلول عليه بالسنة ومدلول عليه بالإجماع ومدلول عليه باجتهاد المجتهدين. فخطاب الله الأساس وهو الحكم وهو الأصل[٢٢] لكن أعرف أن الله خاطبنى من:

قال تعالى – قال رسول الله (وهو المُوحَى إليه) – من إجماع المسلمين – من القياس الذى يرى مراد الله فيطبقه فى صور.

فهذه الأشياء دَالّة وهذا تماما مثل كونك لك اسم وصورة ورقم تليفون وعنوان فكل هذا يدل عليك. فأنت شخص واحد ولكن الدوال تختلف.

فمثلا يقول لك هل تعرف فلانا فترد نعم أعرفه: من صورته. وهل تعرف من يسكن فى العنوان الفلانى؟ تقول إنه هو نفس الشخص. فأقول لك لمن رقم التليفون هذا؟ فتقول

---

٢٢) والمراد بخطاب الله كلامه تعالى سواء دل عليه بالقرآن الكريم مباشرة أو بالسنة أو بالإجماع أو بالقياس أو بغير ذلك من الأدلة الشرعية التى هى كاشفة عن خطاب الله تعالى ومعرّفة له. (وتفاصيل ذلك فى "الحكم الشرعى عند الأصوليين" للدكتور على جمعة، مرجع سابق).

إنـــه لـــه هو نفسه. أى أنك تذكر أشياء مختلفة توصل إلى نفس الشخص.

وكذلك خطاب الله نتوصل إليه بالقرآن ونتوصل إليه بالسنة ونتوصل إليه بالإجماع ونتوصل إليه بالقياس.

❑ المتعلق؟

أى الــذى لـــــه نسبة وعُلقة. أى مرتبط. كأنه يوجد حبل بينهما يضمهما بعضهما إلى بعض.

❑ بأفعال[٢٣]؟

والفعــل يشمل: ما على اللسان، وما فى الأبدان، وما فى الجنان، وما فى الأذهان:

أى أن كلامك فعل، وحركتك من ركوع وسجود فعل، والتَّكَبُّر فى الداخل أو التواضع فعل من أفعال القلب، والتفكير فعل.

إذن الأفعــال هنا ليست قاصرة على الأعمال الظاهرة ولكــنها قد تتعلق بالأذهان أو باللسان أو بالجنان أو بالأبدان.

---

٢٣) والأفعـــال جمـــع مفرده فعل، والمراد به ما صدر عن المكلف من قول كتحريم الغيـــبة والنمـــيمة أو فعـــل بالجوارح كإيجاب الصلاة وإيتاء الزكاة أو اعتقاد كإيجاب الوحدانية لله عز وجل، وعلى ذلك يشمل عمل الأبدان واللسان والجنان.

❑ المكلفين[٢٤]؟

التكليف هو طلبُ ما فيه مشقة. والبعض قال: هو إلزام ما فيه مشقة (كلفة)[٢٥].

فإذا لم يطلب فلا يوجد تكليف. وكيف يكون طلب ما فيه مشقة؟ أى ما هى الأحكام الخمسة؟ وهذا هو ما نبينه فى الاقتضاء والتخيير:

❑ الاقتضاء والتخيير؟

هى الموضوعة تحت كلمة الاقتضاء أو التخيير وهى أربعة تحت الاقتضاء[٢٦] (واجب - مندوب - حرام - مكروه)، والتخيير[٢٧] تحته واحدة فقط (الإباحة).

---

٢٤) والمكلفين جمع مفرده مُكلَّف وذلك مشتق من التكليف. والمكلف هو البالغ العاقل سليم الحواس الذى بلغته الدعوة.

٢٥) راجع "محاضرات فى أصول الفقه" للدكتور أحمد أبو سنَّة، اليمامة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠، وكذلك "الحكم الشرعى عند الأصوليين" للدكتور على جمعة، مرجع سابق. وثمرة هذا الخلاف تتضح عند الكلام على تفاصيل الحكم التكليفى فى علم أصول الفقه.

٢٦) والاقتضاء معناه الطلب، وهو إما طلب فعل أو طلب ترك، وطلب الفعل إما أن يكون جازما وهو الإيجاب "مثل: وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ " أو غير جازم.وهو للندب "مثل: إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ" وأما طلب الترك إن كان جازما فهو التحريم "مثل: وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ" وإن كان طلب الترك غير جازم فهو الكراهة "مثل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" .

٢٧) والتخيير معناه التسوية بين الفعل والترك من غير ترجيح لأحدهما على الآخر ويسمى بالإباحة فالمكلف مخير بين الفعل والترك إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل "مثل: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ" .

مثلا: الله تعالى يقول "وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ" ، فهذا تكليف.
أو يقول لى صل ركعتين قبل الظهر فهذا تكليف (ندب).
أو يقول لى " لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى " فهذا تكليف وفيه نهى وحرمة فالخمر حرام.
أو يقول لى لا تأكل البصل "فمن أكل من هذه الشجرة الخبيثة فليعتزل مسجدنا"[٢٨] فهذا تكليف ولكن على سبيل الكراهة.
أما المباح كأكل الملوخية فليس فيه طلب حيث لا يوجد نص بأكل الملوخية أو عدم أكلها إنما أمر بالأكل والشرب إباحة فقال " وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ". فهذا ليس فيه تكليف. فدائرة المباح لا تكليف فيها.

❑ الوضع؟

وتحته السبب والشرط والمانع والصحة والفساد.
وكل منها له تعريفه الخاص.

الخلاصة أن الحكم هنا هو النسبة التامة. ولذلك جاء بعدها بقيد الشرعية.

---

٢٨) وتمام الحديث فى البخارى: " حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ زَعَمَ عَطَاءٌ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّ النَّبِى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ قَالَ فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا وَلْيَقْعُدْ فِى بَيْتِهِ وَأَنَّ النَّبِى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِى بِقِدْرٍ فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا فَسَأَلَ فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنْ الْبُقُولِ فَقَالَ قَرِّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ كُلْ فَإِنِّى أُنَاجِى مَنْ لَا تُنَاجِى وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ أُتِى بِبَدْرٍ وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ يَعْنِى طَبَقًا فِيهِ خَضِرَاتٌ وَلَمْ يَذْكُرْ اللَّيْثُ وَأَبُو صَفْوَانَ عَنْ يُونُسَ قِصَّةَ الْقِدْرِ فَلَا أَدْرِى هُوَ مِنْ قَوْلِ الزُّهْرِى أَوْ فِى الْحَدِيثِ".

الشـرعية: وجـاء بهـا ليميز أن المقصود بالحكم هو النسبة التامة وأنهـا الأحكـام الشرعية. أى المنسوبة إلى الشرع. وهذا مصدر صناعى.

المصدر الصناعى: (هو كون الشئ منسوبا إلى ...)[29]،

فشرع نسبتها شَرْعِىّ تتحول إلى شَرْعِيَّة. كما نقول صناعية أى من حيث كونهـا منسـوبة إلى الصناعة– زراعية أى من حيث كونُها منسوبة إلى الزراعة، وهذا ما نسميه المصدر الصناعى.

أى أن هذه الأحكام من حيثُ كونُها منسوبة إلى الشرع.

وانتـبهوا[30]: حيثُ من الألفاظ المبنية وهى مبنية على الضم وهى تضاف إلى الجمل فما بعدها يكون مرفوعا.

وطالمـا أنها جُمَل فما بعدها لابد وأن يكون مبتدأ. فلا يجوز إضافتها للمفرد وإلا لعزلته عن باقي الجملة.

فلا تنطق من حيثُ كَوْنِها بالكسر ولكن تنطق من حيثُ كونُها، بالرفع.

وذلك واضح من الألفية:

---

٢٩) المصدر الصناعى مصدر مصنوع بزيادة ياء نسب وتاء تأنيث على الاسم للدلالة علـى حقيقـته وعلـى خصائصـها المختلفة وما يحيط به من الهيئات والأحوال مثل الرجولية والأصولية والإنسانية والجاهلية والكيفية (راجع "إرشاد الأذكياء إلى تصريف الأسماء" للدكـتور عـبد العظـيم فـتحى خلـيل، كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشـريف.ولقـد أصـدر مجمـع اللغة العربية بالقاهرة قرارا يقضى بقياسية المصادر الصـناعية، ونص القرار "إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب وتاء". راجع مجلة المجمع ٢١٥/١ : ٢١١.

٣٠) وهنا لاحظ الشيخ أن أحد الحاضرين لا يستوعب موضوع حيث وبنائها وما إلى ذلك فقام بتوضيح ذلك لغة كعادته لا يؤخر البيان عن الحاجة إليه، وبدقة العالم الحافظ قام على الفور باسترجاع الأبيات الخاصة بهذا الموضع من ألفية ابن مالك.

وَالاسْمُ مِنْهُ مُعْرَبٌ وَمَبْنِي — لِشَبَهٍ مِنَ الْحُرُوْفِ مُدْنِي
كَالْشَّبَهِ الْوَضْعِيِّ فِي اسْمَيْ جِئْتَنَا — وَالْمَعْنَوِيِّ فِي مَتَى وَفِي هُنَا
وَكَنِيَابَةٍ عَنِ الْفِعْلِ بِلاَ — تَأَثُّــرٍ وَكَافْتِــقَــارٍ أُصِّــلا
وَكُلُّ حَرْفٍ مُسْتَحِقٌّ لِلْبِنَا — وَالأَصْلُ فِي الْمَبْنِيِّ أَنْ يُسَكَّنَا
وَمِنْهُ ذُو فَتْحٍ وَذُو كَسْرٍ وَضَمّْ — كَأَيْنَ أَمْسِ حَيْثُ وَالْسَّاكِنُ كَمْ

المكتسبُ:

فالعلم مكتسب.

والمكتسب[٣١] ضد المسألة الوهبية[٣٢] أو الذاتية. فعلم الله تعالى ذاتى لم يعطه أحد لـه سبحانه. وعلم رسول الله ﷺ وهبى فلم يذهب إلى المدرسة أو يجلس فى الكُتَّاب وحفظ على يد شيخ وهكذا بل أرسله الله عز وجل أميا ليكون معجزة فى اختياره وتفضيله واجتبائه على الكون أجمعين..فهو سيد المخلوقات. وجاء ذلك لـه من تفضيل الله لـه. أى أنه وَهْب من غير كسب. ولم يكن بسبب أنه كان مؤدبا وكان يختلى فى غار حراء فكثير غيره اختلى وكثير غيره تأدب ولكن هذا من فضل الله.

إذن ينبغى علينا أن ندرك هذا الفضل وأنه من غير كسب.

---

٣١) كَسَبَ الشئَ جمعه، وكسب فلانا مالا أو علما أو غير ذلك أناله، وأكْسَبَ فلانا مالا أو علما أعانه على كسبه أو جعله يكسِبه. واكْتَسَبَ تصرَّف واجتهد، وتكَسَّبَ تكلَّف الكَسب، والكَسْبُ ما اكْتُسِبَ. (معجس).

٣٢) وَهَبَ لـه الشئَ يَهَبُه وَهْبًا ووَهَبًا وهِبَةً أعطاه إياه بلا عِوَض. والهِبَةُ العطِيَّةُ الخالية من الأعْوَاض والأغراض. (معجس).

فعلم الله ذاتى وعلم جبريل عليه السلام وهبى وعلم النبى ﷺ وهبى.

وأما نحن فعلمنا كسبى..نقوم ببذل مجهود والوصول إلى شئ..بالاستذكار والتعريف والكتابة والحفظ والنسيان والتسجيل والامتحان وغير ذلك.

وتختلف المواهب الربانية والمنح الصمدانية ولكن فى النهاية هو كسب.

من الأدلة التفصيلية:

فهذا العلم الذى هو الفقه مكتسب نأخذه من الأدلة التفصيلية فى الكتاب والسنة:

مثال: "أَقِمِ الصَّلَاةَ" أمر، وكل أمر فهو للوجوب. فأقم الصلاة تدل على الوجوب، فالصلاة واجبة.

وما نفعله هكذا هو تفكير.

❑ وما التفكير[٣٣]؟

حركة النفس الناطقة فى المعقولات. أى انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب.

أو: *ترتيب أمور معلومة للتوصل بها إلى مجهول.*

مثال لذلك: قمنا بالترتيب الآتى:

---

٣٣) قال الشيخ الصبان فى حاشيته على السلم المنورق: "الفكر يطلق على المفكر فيه مجازا، وعلى حركة النفس فى المعقولات لغة وعلى النظر الاصطلاحى اصطلاحا فيعرف على الأخير بأنه ترتيب أمور معلومة للتوصل إلى مجهول" أهـ.

أقم الصلاة هو أمر..فهذه معلومة.

وكل أمر فهو للوجوب..هى معلومة أيضا.

نصل إلى أن الصلاة واجبة.

توصلنا بها إلى شئ لم نكن نعرفه أول الأمر وهى وجوب الصلاة.

فهذا هو الترتيب.

مثال آخر فى نزاع بيننا وبين الملاحدة: العالم حادث، وكل حادث لابد له من مُحْدِث أى موجِد أى خالق. فالعالم حادث أى أن الشمس لم تكن موجودة ثم ظهرت فى الصباح، وكذلك تمت ولادتي ولم أكن موجودا قبل ذلك إذن أنا حادث. أضع بذرة تصبح نباتا وهى لم تكن موجودة بالأمس فهذا حادث. فكل الملاحدة أقروا بأن الكون يحتاج إلى مُحْدِث. ولكنهم أرادوا التشكيك من أمور أخرى مثل هل هذا الذى قام بإحداث الكون هل هو حكيم..قادر..مريد..رحيم، من قال لنا ذلك؟ إنه موجود ولكن... فبدءوا بالإقرار بوجوده ولكنهم يتلاعبون فى الصفات وينكروها. فقمنا بالرد عليهم بأنه متجلى بصفاته فى أكوانه فلننظر إلى القطة وكيف تعامل ابنها، والنبات وهو يتقى من الحشرات أو ينفعها،

وهكذا فهناك تدبير وحكمة. فبعضهم استجاب والبعض الآخـــر أغلـــق اللهُ قلبَه وأماته عنده كافرا غير مأسوف عليه.

وفى كلِّ شيءٍ لَـــهُ آيةٌ تَدُلُّ على أنه واحدٌ

إذن الفقه هو

العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبُ من أدلتها التفصيلية

فلابـــد أن يكون فى ذهنك خريطتان للعلم: مطلق الإدراك أو الإدراك الجازم .... إلخ. بالأحكام أى النسبة التامة أو خطاب الله .... إلخ.

الشرعية أى المنسوبة إلى الشرع.

وهكذا فعرفنا الفقه لغة واصطلاحا، وطوفنا فى بناء الشبكة التى ذكرناها.

وما سبق هو البناء من الخارج وهو مهم لكى ننظم المخ. وهذا هو الفرق بيـــن الـــثقافة والعلـــم. فـــالعلم يقتضى معرفة ما سبق..الأدوات والمنهج والشـــبكة السابقة. ثم بعد ذلك تقوم باستعمالها. فهذا هو الظاهر .. وماذا عن الحقيقة؟.

الفقه باطنا:

وهو ما يتعلق بحقيقة ومعدن هذا الفقه.

كل ما سبق تناول كلمات كثيرة منها:

الفهم – اليقين – الله – الوجود – التكليف – ... وهكذا هناك مجموعة ألفاظ من الشبكة السابقة.

فالمطلوب الوقوف عليها. ونأخذ منها فى هذا اللقاء مثلا لفظ الجلالة (الله):

الله: هو الوجود الحق.

وما سواه يحتاج إليه..أما هو فلا يحتاج إلى أحد لأنه هو قيوم السماوات والأرض وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

فإذا أيقنت بقيوميته للسماوات والأرض وأن السماوات والأرض قد قامتا بإذنه وأمره وأنها تستمر به سبحانه وتعالى فقد بدأنا فى فهم حقيقة الكون.

أن الرب رب، والعبد عبد، وأن هناك فارقا بين المخلوق والخالق.

وأن كل هذا يتمثل فى نفى الحول والقوة عن الكائنات ونسبة كل شئ إلى الله، فالله سبحانه وتعالى هو الحقيقة الكبرى..هو الوجود الحق..هو الوجود الدائم..هو الذى ليس قبله شئ وليس معه شئ وليس بعده شئ.

ونحن إنما قمنا بإذنه..بخَلقِهِ..هو الذى بدأ وهو الذى يُنهى وهو الذى يُقِيم شأننا هذا فنحن فى حاجة إليه.

ومـــن هنا كان واحدا أحدا..كان فردا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن لــه كفوا أحد. ومن هنا فإن كان يقوم بالأشياء وتقومُ الأشياء به وهو لا يقوم بشئ ولا يحتاج إلى شئ فهو لا يحتاج إلى غيره سبحانه وتعالى.

وكذلــك فإنـــه قديم لا بداية لـــه..وباقى لا نهاية لـــه. **إذن هو قديم وباقى وقائم بنفسه.** انظر إلى هذه الثلاثة بالإضافة إلى أنه واحدٌ. وهو مخـــالف لكل الحوادث ليس كمثله شئ. وهذه هى الصفات السلبية[٣٤] وهى خمس صفات[٣٥]:

---

٣٤) وصـــفات المولى عز وجل من مباحث الإلهيات أحد ثلاثة مباحث فى علم الكلام (الإلهـيات: وهى المسائل المبحوث فيها عما يتعلق بالإلـــه، والنبوات: وهى المسائل الــتى يبحث فيها عما يتعلق بالأنبياء، والسمعيات: وهى المسائل التى لا تُتلقى أحكامها إلا مـــن الســـمع). ويقســـم السادة الأشاعرة الصفات إلى أقسام منها الصفات النفسية والصفات السلبية وصفات المعانى والصفات الخبرية وغير ذلك مما هو معلوم فى علم الكـلام. لمـــزيد مـــن التفاصيل راجع "المدخل الى علم الكلام" للدكتور حسن الشافعى، و"لمحـات مـــن الفكر الكلامي لـــه أيضا. ومن كتب السلف "حاشية الشيخ الأمير على جوهرة التوحيد" وكذلك "حاشية البيجورى على جوهرة التوحيد".

٣٥) والصـــفات الســـلبية خمـــس صـــفات كما قال علماء الكلام: وهى القدم والبقاء والمخالفـــة للحـــوادث والقيام بالنفس والوحدانية. وهى التى نظمها صاحب الجوهرة قائلا:

فواجِبٌ لَـــهُ الوُجُودُ والقِدَمْ	كذا بَقاءٌ لا يُشَابُ بالعَدَمْ
وأنَّهُ لِمَا يَنَالُ العَدَمُ	مُخَالِفٌ بُرْهَانُ هذا القِدَمُ
قِيَامُهُ بالنَّفْسِ وَحدانِيَّهْ	مُنَزَّهًا أوصَافُهُ سَنِيَّهْ
عن ضِدٍّ أو شِبهٍ شَرِيكٍ مُطلَقَا	ووالِدِ كذا الوَلَدْ والأصدِقا

لا شريك لـه - لا يحتاج إلى غيره - لا بداية لـه - لا نهاية لـه - لا مثيل لـه (لا يشبه الحوادث ولا تشبهه الحوادث).

وكلها تبدأ بـــ " لا " ومن هنا سميت الصفات السلبية.

وهـــذه هى العقيدة التى تجعل المؤمن يتصور أن وجوده ليس ذاتيا. فهو من مدد الله. وإذا قُطِعَ الإمداد أو ألغى اللهُ الاستعداد فنى الكون. أى انتهى وتلاشى. ولا نقول مات لأن الموت ما زالت الجثة باقية. لكن لا وجود لـــه أى ينعدم إن قطعَ اللهُ عنه المدد.

وهـــذا معـــناه أننا نعيش بمدد متصل[٣٦]. أى أن الله يخلقنا كل طرفة عين. فـــإذا انقطـــع إمداد الْخَلْق فنينا. فكل يوم هو فى شأن فهو خالق وما زال خالقا. وَخَلَقَكَ ولم يتركك عبثا فهو ما زال يخلقك. وحتى بعد خروج الروح

٣٦) ومن الكلمات التى أحفظها عن شيخنا الدكتور على جمعة فى هذا الخصوص ما قالـــه أثناء شرحه للحكم العطائية بالجامع الأزهر الشريف (١٤٢٤هـــ-٢٠٠٣م) حيث قال ما نصه "... فلقد خلقنا الله، ومازال يخلقنا. وما من نفسٍ يخرج أو من نفسٍ يدخل إلا بقـــدر الله. ولو أنـــه قطع عنا إمداد الخلق لفنينا. سوف نقفل مثل السينما. لو قطع الله إمـــداد الخلق فقط عن السماوات والأرض، وترك الملائكة خارج السماوات تتفرج، فلـــن يجـــدوا أمامهم شيئا..لا المسجد الأزهر..ولا نحن..ولا الأرض ولا السماوات ولا الشـــمس..ولا أى شـــئ. فإذا قطع الإمداد سبحانه فتضيع وتذهب. هل معنى ذلك أننى أُخْلَقُ خلقا جديدا كل يوم؟ نعم. هل كل يوم؟. هل كل لحظة؟ أبدا. هل كل ثانية، والثانية هـــى اللحظـــة؟ هل كل فيمتو ثانية؟. لا بل أقل من ذلك: ﴿ اللهم لا تكلنا لأنفسنا طرفة عيـــن ولا أقـــل من ذلك ﴾ ، ومعنى لا أقل من ذلك هو أن ذلك شئ غير متناهى. إذن فنحـــن ومـــيض متـــتالى..فلو انقطع عنى الإمداد فلن أموت.. لأنه عندما أموت يكون جسدى موجود، ولكننى قطع الإمداد معناه أن أفْنَى وَيَفْنَـــى معى الكَوْن. فينبهك الشيخ بـــن عطـــاء الله السكندرى ويخفف ذلك الأمر عليك حتى لا يضيع عقلك فينقلها لك فى صـــورة بسيطة مَا مِنْ نَفَسٍ وفى الحقيقة هو أقل من ذلك بكثير {مَا مِنْ نَفَسٍ تُبْدِيهِ إلاَّ ولَـــهُ قدَرٌ فيكَ يُمْضيهِ }.

مــن الجســد فهــو مــا زال يخلقك لأنه يستمر فى خلق هذا الجسد فله وجود[37].

ولــو عرف الإنسان هذه الحقيقة لأثر ذلك فى سلوكه. فيصبح متعلقا جدا بالله ومتوكلا جدا على الله ويكون عنده رضى وتسليم ورهبة من الله وحب فى الله وحسن توكل على الله. وتبدأ المعانى تتفجر فى قلبه من خلال هذه الكلمــة **الله** . وبذلــك نكون قد **فهمنا**. فالفهم أحد الكلمات المراد بيانها.

أى أنك تكون قد أدركت إدراكا مطابقا للواقع. وهذه هى الحقيقة. وهذه هى الحقــيقة المنســيَّة كمــا ننسى الموت. فبعد الدفنة مباشرة ننسى ونعيش بطريقة عادية. وما سمى الإنسان إلا لنسيه وما أولُ ناسٍ إلا أولُ الناس.

هذه إطلاله على هذا العنوان ونلتقى إن شاء نكمل هذا الكلام.

ـــــــــــــــــــــــ تمت المحاضرة الأولى.

---

٣٧) لمــزيد من التفاصيل راجع "شرح الحكم العطائية" للدكتور على جمعة، بالأزهر الشريف.

عناصر المحاضرة وأفكارها

كلمة الفقه الصوفى لها مداخل متعددة.

المدخل الأول: الوقوف على كلمات مما سطره علماء الفقه الظاهر وتحويلها إلى معان صوفية.

ومن أمثلة ذلك: الوقوف على كلمات مثل: الله - الفهم - اليقين - .... وهكذا ودراسة معانيها الصوفية.

ومن العلماء من فعل ذلك بين التصوف وبين العلوم الأخرى كشرح ابن عجيبة على الأجُرُّمِيَّة بكلام الصوفية. فمثلا عند كلمة "**فاعل**" يقول "**هو الله**" فإن الفاعل على الحقيقة هو الله فلابد وأن يكون مرفوعا.

المدخل الثانى: وهو أن نتكلم عن أسرار العبادة: ومن أمثلة ذلك: أبي طالب المكي فى كتابه "قوت القلوب". حيث لا يتكلم عن أركان الحج بالأساس مثلا وإنما يتكلم عن مفهوم الطواف وأنه يشبه طواف الملائكة بالبيت المعمور. وكذلك الإمام الغزالي فى إحياء علوم الدين حيث نظر فى المعاملات مثلا وما يمكن أن يبحث عنه فيما وراء الظاهر أى إلى ما اشتهر فى الصوفية أثناء التربية بما يقال " **التخلية والتحلية** ". وأيضا الحكيم الترمذى وهو يؤلف فى أسرار العبادة. والقسطلاني وهو يؤلف كتابه أسرار الصيام..أسرار الحج..، وهكذا.

* فكل هذا لا يقف عند حد الظاهر والمسطور فى كتب الفقهاء من بيان الأركان والشروط والموانع والأسباب ومقتضيات الصحة والفساد بل إنه يبحث فى كل ذلك من ناحية الإشارة واللطيفة والمؤثر فى القلب حتى يرى الإنسانُ ربَّه بقلبه كما هى مرتبة **الإحسان** أن يعبد الإنسانُ ربَّه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فهو يراه.

* ومن المصطلحات التى لابد من معرفتها " **المجذوب** : أى المجذوب بكليته إلى الله. بمعنى أنك تستهين بما فى الدنيا وتستهين بتعلق الناس بها وتقطع علائقك بها **فعلا أو تصورا**.

فالقضية هى قضية إنسان لـــه قلب..القضية هى قضية مفهوم، وعلاقة بين الإنسان وبين ربه لابد علينا أن ندركها إدراكا صحيحا.

وهو مثال آخر لدراسة أسرار العبادة والمعاملة والتحلية والتخلية.

* منهج المحاضرات القادمة فى هذه اللقاءات: هو المزج بين المنهجين. ففى بعض المحاضرات نـــأتى ببعض المصطلحات ونرى كلام الصوفية فيها. وهى مصطلحات قد سمعناها مما هو وارد فى الفقه الإسلامى ظاهرا بعد ذلك نتكلم فيها أو أننا نأخذ أبوابا ونسير فيها كلمة كلمة فى الفقه الظاهرى وكيف أن الفقه الصوفى هو حقيقته وهو خلفيته ومعناه فنأخذ من كل من الطرفين إن شاء الله تعالى.

* بـــيان خطـــأ الذين منعوا دراسة التصوف والفقه الصوفى والعقيدة الصوفية والتفسير الصـــوفى وأنهم ارتكبوا جريمة شنعاء لأنهم منعوا الناس من تعلم الثلث الأخير من دينهم الذى يوصلهم إلى ربهم.

* ومحاضـــرة الـــيوم عن مصطلح: **اليقين**: **علم اليقين / عين اليقين / حق اليقين**. ومراتب الوجودات الأربعة. فمن تجاوز إلى أن حدث شئ فى قلبه يأبى الضد لا يعرف أن يكفر. أى أنهم لو قالوا لـــه: اكفر .. فلا يستطيع ولا يعرف كيف ذلك.

نص المحاضرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

كلمة الفقه الصوفى لها مداخل متعددة:

المدخل الأول: الوقوف على كلمات مما سطره علماء الفقه الظاهر وتحويلها إلى معان صوفية.

رأينا فى المرة الفائتة كيف أن المدخل الأول هو أن نقرأ ما سطره علماء الفقه الظاهر ثم بعد ذلك نأخذ منها بعض الألفاظ ككلمة الله التى تدل على الذات الواجِب الوجود المستحق لجميع المحامد، وكلمة الإدراك وكلمة اليقين ونحولها إلى معانٍ صوفية.

المدخل الثانى: وهو أن نتكلم عن أسرار العبادة.

- ولقد بدأ هذا المنهج بالأساس مع أبى طالب المكى[38] فى كتابه (قوت القلوب). فلمّا ألّف قوت القلوب نحا فيه هذا المنحى. ومن أمثلة ما جاء به:

٣٨) هو أبو طالب محمد بن على بن عطية المكى (ت٣٨٦هـ) نسبة إلى مكة التى هاجر إليها فنشأ بها ونُسِب إليها.نال مكانته الرفيعة بين أقرانه من أعلام التصوف الإسلامى على مر العصور بسبب كتابه قوت القلوب فى معاملة المحبوب عز وجل الذى صدر عن مجاهدات وذوق ومعاملات وتوق وشوق ورياضات. ابتلى فى أواخر أيامه بما يبتلى به أهل الفضل بتحريف كلامه وتشويه آرائه. وكتابه قوت القلوب حققه الدكتور عبد الحميد مدكور ونشرته الهيئة العامة للكتاب مؤخرا.

- أنــه لا يتكلم عن أركان الحج بالأساس مثلا وإنما يتكلم عن مفهوم الطواف وأنه يشبه طواف الملائكةِ بالبيت المعمور.

- أو يــتكلم مثلا عن الإحرام وأنه يشير إلى خروج الإنسانِ من إلْفِهِ وعادته إلى قضية البدايات والنهايات.

- وأنـــه مثلا يتكلم عن الذكر اللسانى الذى يذكر فيه أحدنُا ربَّه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ولكن ما الذى يحدثه هذا الذكر من أنوار فى القلوب توصل إلى علام الغيوب.

- ونحــا نحــو هذا <u>الإمام الغزالى</u>[٣٩]: جاء بعده فنحا نحوه، وألف كــتابه الماتع الشهير (**إحياء علوم الدين**) وألفه على أربعة أقسام: العبادات والمعاملات والمنجيات والمهلكات.

- فــنظر فــى الأول (العبادات) إلى ما يمكن أن يبحث عنه فيما وراء الظاهــر ونظر فى الثانى (المعاملات) إلى ما اشتهر فى الصوفية أثناء التربية بما يقال " **التخلـية والتحلية** "، أى التخلــية من القبيح والتحلية بالصحيح. والتخلية والتحلية هى نفســها قضــية المهلكــات والمنجيات. أى أن تُخَلّىَ قلبك مما

---

٣٩) هــو محمــد بن محمد بن محمد الغزالى أبو حامد الإمام المجتهد حجة الإسلام الصــوفى (ت٥٠٥هـــ) ولــه أكثر من مائتى مصنف منها المستصفى وإحياء علوم الديــن وتهافــت الفلاســفة. وكــتابه الإحياء مطبوع ومتداول بكثرة ولخصه كثير من العلماء مثل <u>موعظة المؤمنين</u> من إحياء علوم الدين لشارحه الشيخ محمد جمال الدين القاســمى الدمشــقى (١٢٨٣-١٣٣٢)، ولقــد قام شيخنا الدكتور <u>على جمعة</u> بشرحه بالجامع الأزهر الشريف مساء كل أحد بين المغرب والعشاء بدءً من الأحد ٢٠٠٤/٣/٧ م الموافق ١٦ المحرم ١٤٢٠هــ.

يوردك المهلكة بأن تخليه من كل قبيح وأن تورد عليه كل صحيح بأن تفعل المنجيات فتكلم عن الحقد وعن الحسد وعن الكبر ... إلخ من أمراض القلوب، كما أنه تكلم أيضا عن قضية الشكر والتواضع لله والحب فى الله ... إلخ من صحيح القلب السليم.

- ورأينا الحكيم الترمذى[40] وهو يؤلف فى أسرار العبادة.

- ورأينا بعد ذلك القسطلانى[41] وهو يؤلف كتابه أسرار الصيام..أسرار الحج..أسرار الصلاة، وهكذا.

فكل هذا لا يقف عند حد الظاهر والمسطور فى كتب الفقهاء من بيان الأركان والشروط والموانع والأسباب ومقتضيات الصحة والفساد بل إنه

---

٤٠) وهو أبى عبد الله محمد بن على بن بشر الترمذى المعروف بالحكيم (ت٣٢٠ هـ)، صاحب (نوادر الأصول) وصاحب الكتب الكثيرة فى التصوف والنفس وغيرها وكان دائما يحب الاستدلال بالكتاب والسنة ولا يخرج عن الشرع الشريف فى شئ، لكنه كان يبحث عن مرادات الله فى هذا الشرع الشريف وما وراءه. ابتلى فى آخر حياته ظلما بالبدع وإدعاء النبوة فاعتزل الناس. وهو غير معاصره الإمام أبى عيسى الترمذى صاحب السنن. ومن كتب الحكيم الترمذى (الأكياس والمغترين) الذى قام شيخنا الدكتور على جمعة بإلقاء الضوء عليه فى المحاضرة الرابعة من هذه اللقاءات بالعشيرة المحمدية.

٤١) وهو الشيخ شهاب الدين بن محمد الخطيب المصرى الشافعى المعروف بالقسطلانى (ت٩٢٢هـ) ومن أعظم مؤلفاته شرحه لصحيح البخارى المعروف (بإرشاد السارى إلى صحيح البخارى).

يبحث فى كل ذلك من ناحية الإشارة واللطيفة والمؤثر فى القلب حتى يرى الإنســانُ رَبَّه بقلبه كما هى مرتبة الإحسان أن يعبد الإنسانُ رَبَّه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فهو يراه[42].

فهذا نمط آخر من دراسة الفقه الصوفى.

أى أنــه يمكن لنا أن ندرس الفقه الصوفى من خلال مصطلحات ذُكِرَت فى كتاب الفقه نأخذها وإذ بها تُحْدِثُ ظلالا عندنا فى أذهاننا ونفوسنا وقلوبنا. هــذه الظلال تتغيا إخلاص العبادة لله، وهذه الظلال تتغيا النور الذى يوجد فى القلب فيهدى العبد إلى طريق الرب.

ويمكــن أن ندرس كتابا مثل **(قــوت القلوب)** أو **(سر العبادة)** أو غير ذلك من الكتب التى أُلِّفت فى هذا المضمار فنكون قد أدركنا أيضا الفقه الصوفى.

---

٤٢) وتمــام الحديث فى صحيح مسلم فى كتاب الإيمان عن عمر بن الخطاب " قال: بيــنما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد ســواد الشعر. لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبى ﷺ. فاســند ركبتــيه إلــى ركبتيه. ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرنى عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ. وتقــيم الصــلاة. وتؤتــى الزكاة. وتصوم رمضان. وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا" قــال: صدقت. قال فعجبنا له. يسأله ويصدقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان. قال: "أن تؤمــن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره" قــال: صــدقت. قال: فأخبرنى عن الإحسان. قال: "أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك". قال: فأخبرنى عن الساعة. قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" قــال: فأخــبرنى عن أمارتها. قال: "أن تلد الأمة ربتها. وأن ترى الحفاة العراة العالة رعــاء الشــاء، يتطاولون فى البنيان". قال ثم انطلق. فلبثت مليا. ثم قال لى: "يا عمر! أتــدرى مــن السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". والحديث رواه النووى فى الأربعين النووية. والنووى هو يحيى بن شرف بن مرى أبو زكريا محيى الدين النووى الشافعى (ت٦٧٦هـ) يقال عنه ركن المذهب الشافعى. لــه تصــانيف كثــيرة أشــهرها رياض الصالحين والأذكار وشرح صحيح مسلم والمنهاج وروضة الطالبين والمجموع شرح المهذب.

كمـــا أنـــه هـــناك من فعل هذا بين التصوف وبين غيره من العلوم كالفقه وكالـــنحو فنرى مثلا أن ابن عجيبة المراكشى[٤٣] وهو صاحب (**البحر المديد**) نراه يؤلفُ شرحا على **الأجُرُّمِيَّة**[٤٤] وهى متن صغير فى النحو يشـــرحه بكلام الصوفية. وهى نفس فكرة المصطلحات. فيقول مثلا الجملة مـــنها اسـمية وفعلية، والفعلية مكونة من فعل وفاعل، وهما ركنا الجملة ومفعـــول وهـــو فضْلة ليس من أركان الجملة فيأتى عند قوله "**فاعل**" ويقول "**هو الله**" فإن الفاعل على الحقيقة هو الله. والنحاة لا يقصدون هـــذا وإنما يقصدون ذلك الفاعل الذى قام بالفعل ولكنه لم ير فى الكون إلا الله وأن الفـــاعل علـــى الحقيقة هو الله، وأنه خلقنا وما نفعلُ[٤٥] وما نعمل فإنه سبحانه وتعالى لا يكونُ فى كونه إلا ما أراد وأنه لا حول ولا قوة إلا بـــالله. عـــندما ذُكِـــرَ لـــه الفاعل فكأنه من عِشْقِه وحبِّه لهذا المعنى ومن

---

٤٣) هـــو أحمـــد بـــن محمد بن المهدى بن الحسين بن محمد بن عجيبة الحجوجى الإدريســـى (ت١٢٢٤هـــــ) لـــــه مؤلفات حسنة من أكبرها تفسيره "البحر المديد فى تفســـير القـــرآن المجيد" وهو مطبوع، وقام بتحقيقة الدكتور أحمد القرشى فى رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر الشريف بطنطا.

٤٤) الأجُرُّمـــيَّة وهى متن صغير فى علم أصول وفروع اللغة العربية، وهو متن فى علم قواعد النحو سهل العبارة دقيقها يستغنى به المبتدئ ومنه يبدأ المجتهد وقد وضع هـــذا المتن الجليل أبى عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجى الفاسى، المعروف بابن أجروم (ت٦٧٢هــ- ٧٢٣هــ). ومعنى (آجروم) بلغة البربر الفقير الصوفى. ولد بفاس وتوفى بها. ترجم لـــه السيوطى فى بغية الدعاة، وابن العماد فى شذرات الذهب، وحـــاجى خلـــيفة فى كشف الظنون. ولقد توافر على شرحها العدي من العلماء فى كل العصـــور، ومن ذلك "التحفة السنية بشرح الآجرومية" للشيخ الجليل محمد محيى الدين عبد الحميد فى بداية القرن الهجرى الحالى.

٤٥) ولأستاذنا الدكتور عبد الحميد مدكور بحث متعمق حول قضية "أفعال العباد عند الصوفية" وذلك فى كتابه (نظرات فى التصوف الإسلامى)، دار الهانى للطباعة والنشر، ٢٠٠١. فليراجع هناك لأهميته.

تدربــه عليه فإنه لم يتذكر ولم يعلم ولم يفهم من هذه الكلمة إلا " **الله** ".

وعــندما يرى أن **المفعول به** ليس ركنا للكلمة فيرى أن الكون كلّه لــيس ركــنا للوجود وإنما الموجود على الحقيقة هو الله لأنه هو سبحانه وتعــالى كــان قــبل أن يكــون الكون وهو كان مع الكون وهو كان بعد الكــون..فقال تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (القصص٨٨) سبحانه وتعــالى..﴿ كُــلُّ مَــنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن٢٦-٢٧) .

هــذا المعنى الذى يجعل الإنسان إذا ما ذُكِرَت كلمة فإنه ينجذب إليها مهما كان قصد المتكلم فإنه يحملها على مُرَادِه هو حتى قيل أن قيسا عندما أحب لــيلى كان يغيب عن الأكل والشرب فإذا أرادوا ألا يهلك وأن يطعموه شيئا ذكروا أمامه اسم ليلى فيفيق فيطعموه ثم يغيب مرة أخرى وهكذا. فهذا من شــدة تعلقه بها لكنه تعلق عند أهل الله هو عين الدنيا لأنه تعلق بمخلوق حتى سموه مجنون بنى عامر. ولكن الثانى ينجذب إلى الله ولذلك سمى من جُــذِبَ بكليته إلى الله " **المجذوب** : أى المجذوب إلى الله. والمجذوب كلمة فــى لغــة العرب تطلق على المجنون وعليه يؤول حديث "اذكر الله حتى

يقـــالُ عنك إنك مجنون"[٤٦]. بمعنى أنك تستهين بما فى الدنيا وتستهين بـــتعلق الناس بها وتقطع علاقتك بها بحيث أن تكون فى يدك لا أن تكون فى قلبك، قالوا: ومقياس ذلك ألا تفرح بالموجود ولا تحزن على المفقود.

وقالوا ذلك يكون **فعلا أو تصورا**:

فـــبالفعل نعرفه كلنا. أما بالتصور فهو أنه لا يكون هناك فعل ولا عمـــل ولكنك تتصور مثلا أن مِلْكك ذَهَبَ. وماذا تمتلك؟ أنت تمتلك أشياء كثيرة منها القميص الذى ترتديه، فتخيل أنه فُقِد منك. فلا يكون الرد منك عـــندما أقول لك تصور ذهاب ما تمتلك أن تقول: ليس معى شيئا! فحقيقة الأمـــر أنـــك تمـــتلك بعـــض الأشياء ولو حتى غطاء رأسك أو ساعة يدك وتتخـــيل أنهـــا سُـــرقت مـــنك فى الأتوبيس..أى حاجة تخيل أنها لم تعد مِلْكَك..وتخيل أنك فَنَيْتَ عنها.

ولذلك فإن من أنواع التربية التى يمارسها أهل الله أن يتخيل الإنسانُ نفسَه فـــى القبر ولو للحظات. وقالوا لا تزد عن اللحظات حتى لا تجن، ونحن لا نريد الجنون بل التربية.

فهـــناك فرق بين الجنون والتربية. فقم بإغماض عينيك وتخيل نفسك فى القـــبر، فأول مرة سوف تفزع وتفتح عينيك مسرعا وتحدث نفسك بالبعد عـــن هـــذا الموضـــوع فأنا لا أريد أن أموت أريد البقاء فى الحياة. وثانى مرة..وثالث مرة سوف تتعود على ذلك..ورابع مرة سوف تبدأ تتخيل كيف

---

٤٦) وتمـــام الحديـــث فى مسند أحمد أنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ ».

تتخلص من هذه الدنيا[٤٧]. لأننا لا نريد أن نفقدها من أيدينا لأن هذا عكس مُرَاد الله من خَلْقِنَا فقد أُمِرْنَا بالعمارة وتزكية النفس وبالعبادة وبالقوة، ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ (الأنفال ٦٠) إلا أن المؤمن القوى فى إيمانه وتوكله على الله وعدم اهتمامه بقضية تكون بيد الله من الرزق ومن الإحياء ومن الإماتة... كل هذا إذا تخلى عنه الإنسان وتوكل على ربه فإنه يكون مؤمنا قويا حتى ولو كان ضعيف الجسد.

وهذا شأن الصحابة الذين خرجوا وجاهدوا فى سبيل الله كانت أجسادهم ضعيفة وكانوا يضحكون على عبد الله ابن مسعود ﷺ عندما يعلو النخلة لأن ساقه كانت رفيعة وضعيفة فيتضاحكون، ويقول رسول الله ﷺ لهم "إنها أثقلُ فى الميزان يوم القيامة من أحد"[٤٨].

---

٤٧) ومن أدعية شيخنا الدكتور على جمعة التى نسمعها منه كثيرا "اللهم اجعل الدنيا فى أيدينا ولا تجعل الدنيا فى قلوبنا". ولعل ذلك مرجعه ما رواه الترمذى: " حَدَّثَنَا عَلِىُّ بْنُ حُجْرٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِى عِمْرَانَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ لأَصْحَابِهِ « اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِى دِينِنَا وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِى عِمْرَانَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ."

٤٨) وتمام الحديث فى مسند أحمد: " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِى أَبِى حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ وَحَسَنُ بْنُ مُوسَى قَالاَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِى سِوَاكاً مِنَ الأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مِمَّ تَضْحَكُونَ ». قَالُوا يَا نَبِىَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِى الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ ».

فالقضية هى قضية إنسان لــه قلب..القضية هى قضية مفهوم، وعلاقة بين الإنسان وبين ربه لابد علينا أن ندركها إدراكا صحيحا.

هذا هو مدخلٌ آخر وهو دراسة أسرار العبادة والمعاملة والتحلية والتخلية ولذلــك لو قرأت **إحـياء علو م الدين** أو **قوت القلوب** تشعر أنك أمــام كــتاب فقهــى. ولكــنه يتكلم بشئ لم يذكره الفقهاء فى كتبهم وفى أحاديثهم. والفقهاء ارتضوا بذلك قياما بجانب الإحسان. ولذلك خَلَّوْا كتبَهم منه فلا نرى هذا المعنى فى كتب الفقهاء لأنهم اعتمدوا على أنه هناك من يدرس هذا العلم وهو الأهم.

ولذلــك هــؤلاء الذيــن مــنعوا دراسة التصوف والفقه الصوفى والعقيدة الصــوفية والتفسير الصوفى ارتكبوا جريمة شنعاء لأنهم منعوا الناس من تعلم الثلث الأخير من دينهم الذى يوصلهم إلى ربهم[٤٩]. واقتصر الحال على مباحــث كلامــية بشأن الله سبحانه جل جلاله وعلى مباحث ظاهرية وخلا الدين من رُوحه فنشأت هذه الأزمة العجيبة الغريبة من مجموعة من قساة القلوب أغلقوا على أنفسهم ما فتح الله به على المسلمين. فربنا فتح على المسلمين وعلمهم أسرارا كثيرة لا يعرفها أحدٌ فى العالمين فإذ بهم يسدون

---

٤٩) والشــيخ يشــير هنا إلى حديث: الإسلام والإيمان والإحسان (سبق تخريجه من صحيح مسلم).

الـباب على هذا الفتح[50] ويغلقون على أنفسهم وعلى الناس فلا هم رحموا ولا هـم جعلوا رحمة الله تنزلُ على عباده فكانوا حجابا بين الله وخلقِه، والعـياذ بالله رب العالمين. ..﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الممتحـنة٥). فعلمنا ربُنا كما علم آل إبراهيم وأتباع إبراهيم أن ندعو الله ألا يجعلنا فتنة للذين كفروا وألا نكون حجابا بين الناس وبين خالقهم سبحانه وتعالى[51].

<u>منهج المحاضرات القادمة فى هذه اللقاءات:</u>

نسـير إذن فــى هــذه اللقــاءات علــى مزج بين المنهجين. ففى بعض المحاضـرات نـأتى ببعض المصطلحات ونرى كلام الصوفية فيها. وهى مصـطلحات قـد سمعناها مما هو وارد فى الفقه الإسلامى ظاهرا بعد ذلك نـتكلم فـيها أو أننا نأخذ أبوابا ونسير فيها كلمة كلمة فى الفقه الظاهرى وكيف أن الفقه الصوفى هو حقيقته وهو خلفيته ومعناه فنأخذ من كل من الطرفين إن شاء الله تعالى.

فى المرة الفائتة اخترنا ألفاظا .. فهل كتبها أحد منكم؟ فرد أحد الدارسين: الله – الفهـم – اليقيـن – الوجـود – التكليف ..... إذن نتكلم اليوم عن اليقين:

---

٥٠) ومـن أدعـية الشـيخ التى نحفظها عنه "اللهم افتح علينا فتوح العارفين بك، وأخرجنا من دائرة سخطك إلى دائرة رضاك"، وسوف يأتى ذكره بعد قليل.

٥١) ودائمـا مـا ينبه الشيخ الدارسين إلى الحذر من أن يتحول العلم إلى أن يصبح حجابا بين العبد وربه.

اليقين:

والكـــلام عـــنه يتعلق بعلاقة الإنسان مع ربه وأنها على ثلاث درجات:علم اليقين/عين اليقين/حق اليقين.

واليقين[52] يردُ بعبارات مضافة: فهناك "علم اليقين" وهناك "حق اليقين" وهناك "عين اليقين".

و الـــعلـــم كمـــا ذكرناه يتعلق بالذهن لأنه حدوث صورة الشئ فى الذهن لأنه هو والإدراك المطلق شئ واحد. أو أن لـــه تعريفا خاصا أخص بأنـــه الإدراك الجـــازم الثابـــت المطابق للواقع الناشئ عن دليل[53]. فالعلم بمعـــناه الأول يتعلق بالذهن وبمعناه الثانى هو نفس اليقين. واليقين معناه أنه شئ جازم ثابت مطابق للواقع والحق لا يتزعزع ولم يرد من هوايا ولا مـــن تخيلى ولا من تقليدى لغيرى بل ورد لأن هناك دليلا قد أقنعنى وثبَّتَ هذا اليقين فى قلبى. وعلى كل حال فهو مازال متعلقا بالأذهان.

وقالوا: الـــوجود ات أربـــعة[54]:

---

٥٢) يَقِـــنَ الشـــئُ يقينا ثبت وتحقق ووضَح، فهو يَقنٌ، ويقينٌ. واليقين العِلْمُ الذى لا شكَّ معه (معجس).

٥٣) راجع المحاضرة السابقة.

٥٤).وحاصـــل الأمـــر أنـــه هناك علاقة بين كل مرتبة من مراتب الوجود والمرتبة الأخـــرى فمـــثلا الحواس علاقة بين الأعيان والأذهان. ومن هذا التقسيم أخذوا بفكرة الكلـــيات الخمـــس (الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض العام) والتى استعملت بصـــورة واســـعة فـــى قضية تعريف المصطلحات وضبط مفاهيم العلوم. ولمزيد من=

أ- وجودٌ فى الأذهان،

ب- وجود على اللسان،

ج-وجود على البنان،

د- وجود فى الأعيان.

فـأى شـئ لــه حقيقة لــه وجود فى الأعيان أى فى الخارج أى خارج الإنســان تمثل حقيقته. وهذا لأى شئ. وإذا أردنا أن نعبر عنه فإنه يمكن لـنا أولا أن نتصـوره فى عقولنا. نغمض عيوننا ونستحضر هذه الصورة التى فى الخارج، هذه الصورة التى فى الخارج يمكن أن تكون مطابقة تمام المطابقة مع ما فى الخارج ويمكن ألا تكون.

فإذا رأيتُ شيئا من بعيد وظننته أنه شاة مثلا فممكن فعلا أن يكون بالفعل هذا الشئ هو شاة لأنه عندما قربت منه ورأيتها وأمسكت بها وقد أكون قد ذبحـتها وأكلـتها. فهو شئ متيقن منه..شاة. ومن الممكن أن تكون شيئا آخر قريب من الشاة لكنه ليست هى. فالكلب قريب من الشاة فى الشكل من بعـيد، بل قد يكون نسرا كبيرا بجناحين ويطير (والنسر من أقوى الطيور الجارحة) فيا ترى هل ما أراه فى ذهنى أى الصورة المنتقلة فى ذهنى هل هى مطابقة أم غير مطابقة؟ قد تكون مطابقة وقد لا تكون مطابقة.

التفاصيل راجع مراتب الوجود الأربعة فى "الحكم الشرعى عند الأصوليين" للدكتور على جمعة، مرجع سابق

إذن ما هـو مدى جزمي. فبفرض أننى أجزمت بما فى عقلى وقلت هى شاة..هى شاة. فمن أين أتى هذا الجزم؟

يكون إما من طبيعة أنى عنيد..أو أنى متسرع..أو أنى احتفت عندى قرائن من أنها لا تتحرك بسرعة مثلا أو أن لونها أسود أو أنى أرى وكأن عندها قرنيـن، فقلت إنها شاة. هى شاة ١٠٠% ، فطارت. قامت بفرد جناحيها وطارت. فقال شاة وإن طارت[٥٥]. فهو متأكد. وقد يكون هذا نوع من أنواع العـند أو الغـباء أو البلادة لكن المهم إنها شاة وإن طارت. فالوجود فى الذهن غير الوجود فى الخارج.

لو أننى قد تَكَوَّن عندى وجود فى ذهنى خاطئ فسوف أكتبها شاة أو أكتبها نسرا.

إذن فبداية الخطأ تبدأ من الذهن لا من الواقع، فالواقع ليس فيه خطأ.

فاليقيـن هـنا لابد أن يتميز عن مطلق الإدراك، ولابد أننا نعنى به المعنى الخاص وليس المعنى العام.

علـم الـيقين معناه ذلك الناشئ عن دليل وكان جازما مطابقا ثابتا أى مطابق للواقع.

إذن فأنا أؤمن به إيمانا قويا ثابتا. لكن نسأل: هل هذا منتهى اليقين؟

---

٥٥) وهنا أراد مولانا وشيخنا الدكتور على جمعة مداعبة الحاضرين فقال: معزة وإن طارت..قال سبحان الله انظر إلى المعزة وهى تطير.

العلم قد يحدث فيه خطأ. ولكن نسبة الخطأ أنا أدعى أنها قد انتهت. ولكن عـندما أقـارب هذا الشئ وألمسه بيدى فإن هذا يكون عين اليقين. وهى المرتـبة الثانية. أما إذا ذبحته وأكلته بعدما حلبت هذه الشاة فشربت لبنها فهـذا هـو حق اليقين. لأننى تحققت بها لأنه من الممكن أن يدعى واحد أننى أمامى شئ وهذا الشئ لـه بالفعل صوت وقد يصدر منه هذا الصوت علـى شكل مأمأة (أى على نفس صوت الشاة) لكن قد تكون مصنوعة من البلاستيك يعمل عن بُعد بالريموت كنترول فأقول لـه هذا هو الذى أمامى شـاة لكنها كانت من البلاستيك. لكن لو ذبحتها وشويتها وأكلتها فلا يوجد هذا الاحتمال فتصبح حق اليقين وهو ما لا احتمال فيه.

والله سـبحانه وتعـالى أرشدنا إلى هذا كله: أرشدنا إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. وهذه درجات موجودة عند أهل الطريق فى سعيهم إلى الله سـبحانه وتعـالى. وهـى بعضها أعلى من بعض. إذن نحن نبدأ بعلم اليقين ونتوسط مع عين اليقين وننتهى مع حق اليقين.

هذا الكلام يتعلق بعلاقة الإنسان مع ربه أنها على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: علم اليقين

الدرجة الثانية: عين اليقين

والدرجة الثالثة: حق اليقين.

<u>تطبيق</u>: ومشايخنا وهم فى طريقهم إلى الله مرُّوا بهذه التجربة:

- شـخص مؤمـن بالإسـلام ولا يتزحزح إيمانه ويرى من الأدلة العقلية والنقلية والكونية أنه هو الحق. فهذا يكون فى علم اليقين.

- إنما بعد ذلك رأى بعينيه من ربه سبحانه وتعالى ما أدرك به أنه قد شاهد بعينيه ما لا يمكن أن ينكره فانكشفت لـه أسرار وتنزلت علـيه أنوار وحدثت لـه الحالات ورأى بعينيه ما هو مكتوب فى الكتب مسطور فى الكون أمامه، عَاشَه. فهذا هو عين اليقين.

- وتجـاوز هـذا إلى أن حدث شئ فى قلبه يأبى الضد. أى أنه لا يعرف أن يكفر. أى أنهم لو قالوا لـه اكفر فلا يستطيع ولا يعرف كيف ذلك. وانتبهوا فهناك فرق بين أن يكفر بالإنكار وبين أن يُفْتَن فى دينه، فإن أحدا من البشر سوى الأنبياء لا يُعْصَم من الفتنة فى الديـن. ولكن إبليس وصل إلى مرحلة الحضور[٥٦] وحق اليقين، إلا أنه أنه استكبر وأبى فلا يستطيع أن ينكر ربَّه أى ليس كفر إنكار، ولكـن كفر استهتار. فإبليس لم يقل إن ربنا غير موجود فلقد كان فـى الحضرة[٥٧] فكيف يقول ذلك، إنه لا يعرف ولا يقدر فلقد سمع

---

٥٦) والآيـات الدالة على ذلك عديدة فى القرآن الكريم منها قولـه تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّـكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْـتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (الحجر٢٨-٣٥).

٥٧) أى الحضرة القدسية.

الخطـــاب وهذا حق اليقين. إنما قد فُتِنَ فى نفسه بإبائه وشيطنته وغباوته وضل عن سواء السبيل.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ تمت المحاضرة الثانية.

عناصر المحاضرة وأفكارها

شروط الكلام عن الفقه الصوفى:

هناك بعض الشروط التى اشترطها العلماء ومن ذلك:

١- اشترط العلماء عند الكلام على هذا النوع من الفقه ألا يَكرَّ السِّرُّ على الظاهر بالبطلان.

٢- الأمر الثانى هو أن الفقه الصوفى على درجات. بعضهم قال هم سبعة، وبعضهم قال ثلاثة.

مقارنة بين الفقه الصوفى والباطنية (تفصيل شروط الكلام عن الفقه الصوفى)

اشترط العلماء عند الكلام على هذا النوع من الفقه ألا يَكرَّ السِّرُّ على الظاهر بالبطلان

أى أن هناك تنظيرا للحس ومقابلة له لكن مع هذا التنظير لا يكر ذلك الفهم الجديد على الأصل بالبطلان.

أى أنه كلما توسعنا فى هذه الأقوال نجد لها دليلا، ولكنه يريد أن يُلحِق هذا أو أن يجعل هذا معنى لهذا إضافى.

الصوفية لا تَكِرُّ على الأصل بالبطلان، والباطنية تَكِرُّ على الأصل بالبطلان

وأن الفقه الصوفى إنما هو فى دائرة المعنى التابع الذى لا يكر على أصله بالبطلان لأنه لو كر عليه بالبطلان لخرج من التصوف إلى حد الباطنية.

* والكـــلام لـــه معنى أصلى ومعنى تابع. وأن الفقه الصوفى إنما هو فى دائرة المعنى التابع الـــذى لا يكر على أصله بالبطلان لأنه لو كر عليه بالبطلان لخرج من التصوف إلى حد الباطنية.

التصوف السنى لا يقف عند ظاهر العبارة ومن ينظر فيها بما يفتح الله سبحانه وتعالى على أى منا بما يفتح. ومن دعاء الصالحين " **اللهم افتح علينا فتوحَ العارفين بك** " فينورُ الله بصيرة أحدهم فيرى فى القرآنِ معنىً لا يكرُّ على المعنى الأصلى بالبطلان، بل إنه يُؤخَذُ منه وينبثقُ ويزيد وينمو مع البقاء على أصل المعنى.

الفقـــه الظاهرى يتعلق بالواقع المحسوس الذى يشترك فيه الناس كلهم أما الفقه الصوفى نجده لم يتعلق بالواقع وإنما يتعلق بنفس الأمر.

وسقوط التكاليف هـو أحد أسباب السمعة السيئة التى استُغِلَّت فيما بعد لهدم مرتبة الإحسان بالكلية من دين المسلمين

معايير اختيار الطرق الموصلة إلى الله:

كيف أفاضل بين الطرق؟ قال مشايخنا على أمرين:

١- قُربُها من السنة.

٢- قُربُهَا من اليُسْر والرفق.

تطبيق: رؤية النبى ﷺ فى المنام وحديث الصحيحين. والرؤية فى اليقظة على أقوال لا تكر على أصل الرؤية بالبطلان وأن الحفظ للرؤية لا للسمع.

نص المحاضرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

مراجعة لما سبق:

تحدثنا عن مداخل الفقه الصوفى:

تكلمنا عن الفقه الصوفى من باب المداخل التى تأتى بالمصطلحات الواردة فى علم الفقه ابتداء من تعريفه ثم بعد ذلك نعيش عيشة أخرى مع هذه المصطلحات. وهذا مدخل.

وتكلمنا عن المدخل الثانى وهو أننا نسير مع الفقه حكما حكما ونستدل من هذه الأحكام الظاهرة على أسرار باطنة. وضربنا مثلا لأسرار الصيام للقسطلانى وأسرار الحج له أو بصورة أعمق للحكيم الترمذى فى أسرار العبادة وكلها كتبٌ مطبوعة تحت عناوين شتى مثل مدارج الصيام أو أسرار الصيام أو أسرار العبادة وأشرنا إلى كتاب قوت القلوب وإلى كتاب إحياء علوم الدين وإلى نحو ذلك من الكتب التى تكلمت عن التخلية من القبيح والتحلية بالصحيح وأن هذا يُعَد من الفقه الصوفى.

ونبدأ اليوم فى الحديث عن بعض الأصول الهامة فيما يتعلق بالفقه الصوفى.

شروط الكلام عن الفقه الصوفى:

هناك بعض الشروط التى اشترطها العلماء ومن ذلك[58]:

١ – اشترط العلماء عند الكلام على هذا النوع من الفقه ألا يَكرَّ السرُّ على الظاهر بالبطلان.

ومعنى ذلك ألا يكر استنباط السر على الأصل بالبطلان. ولنأخذ أحد التطبيقات على ذلك:

الطهارة..الوضوء..ظاهره هو غسل الوجه واليدين إلى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب مع النية. وهذا هو الظاهر. ففرائض الوضوء ستة أشياء[59].

- أما باطنه فيبدأ فى درجات أننا نتطهر أى نتخلص من الذنوب، ويستدلون فى هذه المرحلة التى يتخلص فيها الإنسان من ذنوبه

---

٥٨) كما بين السلف الصالح والعلماء المحدثون بالدليل الشرعى جواز استخدام الرمز والإشارة. وفى ذلك يراجع الشاطبى فى الموافقات والهجويرى فى كشفه والإمام الراحل محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية فى مجلة المسلم. كما بين العلماء شروط التفسير الإشارى أى التفسير الصوفى للقرآن كأحد روافد الإشارة فى العلوم الشرعية، كأن يكون سالما من المعارضة لغة وشرعا وعقلا، وأن يمكن الجمع بينه وبين التفسير الظاهر المعتمد إلى غير ذلك. وفى ذلك يراجع الإتقان للسيوطى ومناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى، وغيرهم. وجماع ذلك كله ما ذكره الشيخ على جمعة فى هذه المحاضرات "ألا يكر السر على الظاهر بالبطلان".

٥٩) ودائما يشير شيخنا فى كلامه إلى المتون الشرعية وضرورة حفظها وأهميتها لدارسى العلوم الشرعية. وهو يشير هنا إلى متن أبى شجاع فى الفقه الشافعى وفيه: "وفروض الوضوء ستة أشياء النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب". ويقوم شيخنا حاليا بشرح هذا المتن الجليل بالجامع الأزهر الشريف. ومن قبل ذلك قام بشرح متن الزُبَد بجامع السلطان حسن بالقلعة، وهو نظم فى الفقه الشافعى للشيخ أحمد بن رسلان الشافعى (ت ٨٤٤هـ).

لحديث: إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ أى تنزل منه كأوراق الشجر فى الخريف[٦٠]. وكأن الذنب له أثر على تلك الأعضاء وكأن هذه الذنوب تذهب مع الماء المستعمل ولذلك نرى فقهاء الظاهر يقولون إن الماء المستعمل قد أخذ معه الحدث وأخذ معه الذنوب:

الحدث من الناحية الاعتبارية، والذنوب من الناحية الإشارية.

---

٦٠) والشيخ فى ذلك يشير إلى حديث النبى الذى رواه أحمد وتمامه حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِى حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِى عُثْمَانَ قَالَ كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَأَخَذَ مِنْهَا غُصْناً يَابِساً فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا عُثْمَانَ أَلاَ تَسْأَلُنِى لِمَ أَفْعَلُ هَذَا قُلْتُ وَلِمَ تَفْعَلُهُ فَقَالَ هَكَذَا فَعَلَ بِى رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– وَأَنَا مَعَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِنْهَا غُصْناً يَابِساً فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ فَقَالَ « يَا سَلْمَانُ أَلاَ تَسْأَلُنِى لِمَ أَفْعَلُ هَذَا ». قُلْتُ وَلِمَ تَفْعَلُهُ قَالَ « *إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ* – وَقَالَ – (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَىِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) ». وتمامه فى رواية أخرى عند أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِى حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَنْبَأَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِى عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ كُنَّا مَعَ سَلْمَانَ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ غُصْناً مِنْهَا فَنَفَضَهُ فَتَسَاقَطَ وَرَقُهُ فَقَالَ أَلاَ تَسْأَلُونِى عَمَّا صَنَعْتُ فَقُلْنَا أَخْبِرْنَا. فَقَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِى ظِلِّ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ غُصْناً مِنْهَا فَنَفَضَهُ فَتَسَاقَطَ وَرَقُهُ فَقَالَ « أَلاَ تَسْأَلُونِى عَمَّا صَنَعْتُ ». فَقُلْنَا أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ « *إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتَّ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ* ».

وكذلك رواه الدارمى وتمامه عنده: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِى عُثْمَانَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِنْهَا غُصْناً يَابِساً فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ قَالَ : أَمَا تَسْأَلُنِى لِمَ أَفْعَلُ هَذَا؟ قُلْتُ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَهُ ؟ قَالَ : هَكَذَا فَعَلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– ثُمَّ قَالَ :« *إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ وَصَلَّى الْخَمْسَ تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ هَذَا الْوَرَقُ* ». ثُمَّ قَالَ (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَىِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) إِلَى قَوْلِهِ (ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)

وهنا نتساءل: هل هذا يَكِرُّ على الوضوء بالبطلان؟

نرد: حتى هذا الذى بيناه فإنه لا يكر بالبطلان.

إذن هذا من الفقه الصوفى.

○ * ولكن قد يأتى أحدهم ويقول إذن فيجب علينا إذا ما أردنا السلوك والولوج إلى طريق الله أن نتخلى عن الذنوب الظاهرة. فنقول له أيضا إن هذا المعنى لا يكر على الوضوء الظاهر بالبطلان بل يبقى الوضوء على حاله ويضاف إليه أنه تتطهر من الذنوب وأثرها الحسى أو الاعتبارى ويضاف إليه أنه يجب عليه أن تتوب توبة نصوحة بأن تعزم على ألا تعود لمثل هذه الذنوب أبدا وأن ترد مظالم الناس، و ... إلخ لأنك لا تستطيع أن تلج باب الله إلا بهذا لأن الله لا يقبل الصلاة إلا بالوضوء فكذلك لا يقبل صِلَة إلا بالتوبة. فحتى هذا القول نقول إن ذلك من الفقه الصوفى.

أى أن هناك تنظيرا للحس ومقابلة له لكن مع هذا التنظير لا يكر ذلك الفهم الجديد على الأصل بالبطلان.

*** ولكن قد يأتى آخر فيقول إن هذا الوضوء وفيه نوع ترفه بغسل الوجه واليدين وفيه نوع طهارة تزيل به الأغبار التى على الإنسان وغير ذلك فيجب أن تطهر سِرَّكَ من السِّوَى، سوى الله، لأن الله لا يحب الشريك ففى الحديث[61]: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ.

61) وتمام الحديث من صحيح مسلم: حَدَّثَنِى زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنِ الْعَلاَءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ ».

أى أنه كلما توسعنا فى هذه الأقوال نجد لها دليلا، ولكنه يريد أن يُلحِق هذا أو أن يجعل هذا معنى لهذا إضافى.

☒ وقد يتعمق أكثر فيقول: أنا لا أحب إلا الله وأنه ليس فى قلبى سواه فأنا طاهرٌ على الحقيقة، فلا أحتاج إلى وضوء لأن هذا الوضوء شئ ربنا جعله لنا حتى نفهم أن الولوج إليه لا يكون إلا بطهارة، أما وأننى فعلا طاهر على حدٍ كبير من الطهارة والتجرد لله رب العالمين فلست فى حاجة إلى وضوئكم الظاهرى هذا.

وهنا يصدق أن هذا الفهم وإن كان فهما يتكلم عن السِّوى ورَفْضه ويتكلم عن الشريك وفعله ويتكلم عن معانى راقية من الولوج فى باب الله وألا يكون ذلك إلا بالطهر، و . . . . إلخ. ولكن فى نهاية القول يأتى ويكر على الظاهر بالبطلان. فإذا كرَّ على الظاهر بالبطلان تحول من صوفية إلى باطنية، وسَقَطَ.

وهنا نطرح سؤالا: ما الفرق بين الصوفية وبين الباطنية؟

الصوفية ترى الإشارة خلفَ العبارة لكنها لا تكرُّ على الأصل بالبطلان.

والباطنية ترى الإشارة خلف العبارة وتَكِرُّ على الأصل بالبطلان.

إذن من الممكن أن نختصر ونقول:

الصوفية لا تَكِرُّ على الأصل بالبطلان، والباطنية تَكِرُّ على الأصل بالبطلان.

فالصـــوفية لا تكر على الأصل بالبطلان بل إن كلها سَعَة، مع بقاء الأصل. أى أن الأصل ثابت، فالوضوء وضوء ولا يمكن أن يُرْفَع أو يُنْزَع أو يُمْحَى أو يُنْسَــى ولكن نفهم منه معانى وظلال وارفة وإشارة خلف العبارة، وكل هذا مقبول. إنما الباطنية استغنى بالفرع عن الأصل فتخيل خيالات واستنبط استنباطات وسار فى طريق الإشارات ثم كَرَّ ذلك كلُّه على الأصل بالبطلان. إذن قام بالتغيير.

وهــنا ألَّفَ الإمام الغزالى كتابا مهما لدارس الفقه الصوفى تستطيع به أن تتوصــل إلى فهم دقيق للشروط الواجبة فى ذلك الفقه والتى أولها "*لا تكر الإشــارة عــلى أصــل العبارة*. واسمه " **فضائح الباطنية** ". أى أنها فضائح وصلوا فيها إلى أشياء شتى منها مثلا:

☒ قــالوا لنا إمام والصلاة هى التوجه إلى الإمام فالإمام والصلة بيننا وبينه هى صلاتنا. ولو كانوا قالوا هذا مع إبقائهم على الأصل بأن قــالوا: إنمــا الإمام ليؤتم به[٦٢] والإشارة أن يلتف المؤمنون حول

٦٢) وتمام الحديث فى صحيح البخارى: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَـنْ هِشَـامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ – صـلى الله عليه وسلم – فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاكٍ ، فَصَلَّى جَالِسًا وَصَلَّى وَرَاءَهُ قَوْمٌ قِيَامًا ، فَأَشَـارَ إِلَـيْهِمْ أَنِ اجْلِسُـوا ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ « إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا ، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا ، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا »

شــخص مــا كالتفاف الدائرة حول مركزها والرَّحَى حول محوره، وعلــى ذلك فإننا جميعا لا نكون كذلك إلا بذلك كشأن الصلاة فإنما الإمــام ليؤتم به مع الإبقاء على الصلاة كما هى لكان ذلك تنظيرا وفقها وإشارة خلف العبارة. إنما المصيبة أنهم قالوا إن ذلك يغنى عــن هذا وأن حقيقة الصلاة هى الاكتفاء بالتوجه إلى الإمام. فإذا توجــه أحدنـــا إلى ذلك الإمام المُدَّعَى وعرف سِرَّه فكتمه فهو قد صَــام لأن الصــيام هــو كَــتْم سِرّ الإيمان. ونسألهم عن رمضان فيقولوا رمضان براءة أى تأكل وتشرب عادى لأنك وصلت والحمد لله إلــى معرفة السر وإلى كتم سر الإمام فلم تبح به لأحد وإلا فقد أفطــرت رمضان والعياذ بالله. ونسألهم وما رمضان، فيقولوا هو شــهر الصيام. فنسأل وما معنى شهر الصيام فيقوم بالإشارة إلى إمامه.

☒ وكانــت هناك فِرْقة اسمها الفرقة البكتاشية وكانت لها مركز كبير وكانوا يعتقدون أن الإنسان عندما يصل إلى درجة من النقاء يسقط عــنه تكلــيف الصيام والصلاة وأنه يجوز أن يصوم صيام الظاهر نيابة عن أشخاص آخرين ويسقط عنهم هم التكليف لأن هناك نيابة عــندهم كنــيابة الحــج عمن مات عنه. فكانوا يأخذون من بعض أمراء العائلة المالكة نقودا ويصومون بدلا عنهم أى بالأجر.

وهذه أحد أسباب السمعة السيئة – أى سقوط التكاليف – التى استُغِلَّت فيما بعد لهدم مرتبة الإحسان بالكلية من دين المسلمين[٦٣].

مرة أخرى وما الفرق بين التصوف السنى وبين هذا الخروج؟

التصوف السنى لا يقف عند ظاهر العبارة ومن ينظر فيها بما يفتح الله سبحانه وتعالَى على أى منا بما يفتح. ومن دعاء الصالحين " اللهم افتح علينا فتوحَ العارفين بك " فينورُ الله بصيرة أحدهم فيرى فى القرآن معنىً لا يكرُّ على المعنى الأصلى بالبطلان، بل إنه يُؤخَذُ منه وينبثقُ ويزيد وينمو مع البقاء على أصل المعنى.

وهذا يفرع بنا إلى قضية أخرى تتعلق بترجمة الكلام والمعانى:

كلامُ العربِ له معنى أصلى وله معنى تابع. أما المعنى الأصلى فهو الذى نستطيع أن نترجمه من لغة إلى أخرى، وأما المعنى التابع فلا نستطيع أن نترجمه أو أن نستفيده من الترجمة..من العربية التى نزل بها

---

٦٣) والصوفية لا يقولون أبدا بسقوط التكاليف، ولمزيد من التفاصيل راجع (نظرات فى التصوف الإسلامى) للدكتور عبد الحميد مدكور، مبحث أفعال العباد عند الصوفية.

القــرآن. تقرأ النسخة الإنجليزية مثلا فتقول نعم هذا مثل هذا ولكن المعنى الــتابع لــيس فــى الإنجليزية. وإذا أردت أن تشير إلى أن تلك الآية فى تركيــبها العــربى يتولد منها معانٍ فلابد من الشرح فتقول هذه الآية التى بهــذا النص الفلانى يفهم منها فى العربية كيت وكيت وكيت مما يفتح الله علــيك به. ومن أمثلة ذلك الآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الــرِّجْسَ أَهْــلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب٣٣) فمن هم أهل البيت؟ المعنى الأصلى لها "هو أهل البيت"، بينما المعنى التابع الذى يمكن أن نســتنتجه من ثقافتنا أى من خارج القرآن أى من التعود فممكن أن يكون أولاد سـيدنا الحســن والحسين. أم أن أهل البيت معناها هم أهل العباءة السيدة فاطمة عليها السلام والسيد على والسيد الحسين والسيد الحسن رضى الله عنهم والنبى ﷺ ، أم منهم زينب رضى الله عنها وأرضاها، أم إن أهل البيت هــم أمهــات المؤمنين، أم أن أهل البيت هم العرب الذين أسلموا مع رسول الله والبيــت هنا هو الكعبة فيكون المعنى المقصود إنما يريدُ الله ليذهب عنكم الــرجس أهل الكعبة أيها العرب بإرساله محمد ﷺ إليكم، وما أرسله إليكم إلا لــيخرجكم من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان ويذهب عنكم الــرجس الذى هو الوثن والعبادة والشرك بغير الله. أم أن أهل بيته هم كل تقي مثلا..أم القول: "إنما أنت منا سلمان"، سلمان منا أهل البيت. أم أن أهل البيت هم المحرم عليهم الزكاة وهم بنو هاشم وبنو المطلب وفيها خمسة أقوال

يزدادوا إلى سبعة أو ثمانية إلى ما يفتح الله سبحانه وتعالى به. أم أن أهل البيت هم أهل البيت المعمور فى السماء الملائكة. أم من هم أهل البيت. إذن إنما نحن نتحدث عن تفسير. لكن عندما نأتى ونترجم فنقول people of house أى أهل البيت. وإذا أردت أن تشرح فمن الممكن أن تقول ما سبق ولكنك لا تستطيع أن تقول إن أهل البيت ترجمتها مثلا wives of prophet . بالطبع لا يصلح هذا فليس الموجود أمامنا نص "زوجات النبى" فترجمتك تكون خطأ هكذا مهما قلت. فهناك الشيعة[٦٤] مثلا من الممكن أن يقوموا بتكذيبك ويقولون إن النص الذى أمامك ليس زوجات النبى بل "أهل البيت". إذن لكى نترجم لابد من ترجمة المعنى الأصلى وليس المعنى التابع.

فتقرر من ذلك أن الكلام لـه معنى أصلى ومعنى تابع. وأن الفقه الصوفى إنما هو فى دائرة المعنى التابع الذى لا يكر على أصله بالبطلان لأنه لو كر عليه بالبطلان لخرج من التصوف إلى حد الباطنية.

---

٦٤) الشيعة من الفرق الإسلامية الموجودة فى العراق وإيران وما حولهما وبينهم وبين السنة بعض الاختلافات ويتجاوز تعدادهم حاليا المائة مليون بقليل على مستوى العالم. ولشيخنا أبحاث كثيرة حول الشيعة منها ما نُشِر مؤخرا فى صحيفة الأهرام المصرية فى شهر فبراير/مارس ٢٠٠٦، يرد فيه على من يزعم من الغرب بأنهما دينان منفصلان. كما بيّن فضيلته أن الأزهر الشريف قد اعترف بالمذاهب الفقهية الثمانية التى يقلدها المسلمون فى العالم فى عصرنا الحاضر وهى الأربعة السنية "الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة" واثنان من الشيعة هما "الجعفرية والزيدية" واثنان من خارج ذلك وهما "الإباضية والظاهرية". وللوقوف على تفاصيل أكثر يراجع كتاب (المدخل إلى علم الكلام) للدكتور حسن الشافعى.

٢- الأمـــر الـــثاني هو أن الفقه الصوفى على درجات. بعضهم قال هم سبعة، وبعضهم قال ثلاثة.

أما من قال بالثلاثة فمثل صاحب منازل السائرين[٦٥] إلى الحق عز شـــأنه جعـــل كل شئ على ثلاثة. فمثلا هو يقول "إنما التوبة على ثلاثة أنحاء" ويذكرها، وهكذا. ويستدلون على أن مستويات الناس بالجملـــة ثلاثـــة: العوام والخواص وخواص الخواص. ويستدلون علـــى ذلـــك بـــأن النفوس ثلاثة: النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامـــة الـــتى تلـــوم صـــاحبها هنا وهناك على ذنوبه، والنفس الملهمة[٦٦].

وأمـــا من قال بالسبعة فهم قالوا بأن الملهمة على درجات أربعة: الراضـــية والمرضـــية والمطمئـــنة والكاملة. أى أن هناك درجات أخرى.

---

٦٥) يقصـــد كتاب منازل السائرين إلى الحق عز شأنه للإمام الهروى الصوفى وجعل الطريق فيه على عشرة أقسام كل منها عشرة أبواب فكان تمامه مائة ، ولقد شرح هذا الكـــتاب العظيم ابن القيم فى كتابه مدارج السالكين. كما قام مولانا الدكتور على جمعة بشـــرح كتاب الإمام الهروى منازل السائرين بالجامع الأزهر الشريف عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، وقـــال فضـــيلته فـــى مقدمه شرحه: "إذن فطريقُ الله عنده مُقسَّمٌ إلى عشرةِ مـــراحل. وهـــذه المـــراحل كُل مرحلة منها مقسمة إلى عَشر مَقامَات حيث قال الإمام الهروى: { واعلمْ أن الأقسامَ العشرة التى ذكرتُها فى صدْر الكتاب هى: قِسْمُ البدايات / ثـــم قســـمُ الأبواب / ثم قسم المعاملات / ثم قسم الأخلاق / ثم قسم الأصول / ثم قسم الأدوية / ثم قسم الأحوال / ثم قسم الولايات / ثم قسم الحقائق / ثم قسم النهايات }".

٦٦) وهنا لم يصبر بعض الدارسين على الشيخ وعاجله ببعض الكلمات فقام فضيلته جـــزاه الله خيرا وأحسن إليه وبارك لنا فيه وفى علومه فى الدارين آمين – قام بتوجيه الدارسين وأنهم بهذا تكون ألسنتهم أكبر من آذانهم بينما مشايخنا قالوا لنا: اجعل أذنك أكـــبر من لسانك "خللى ودانك أكبر من لسانك"..اسكت أنت وهو ولا تلخبط. وفوق كل ذى علم عليم.

ولنتعرض إلى الثلاثة ونقف على بعض المعانى المتصلة بهذا:

نقـول إن معنى ذلك أن النفس البشرية فى إدراكاتها تختلف فى مستويات الفهـم والتقـبل والترقى والتلقى هذه الاختلافات تكون أعمق فى كل هذا. ولذلـك فالفقه الصوفى بخلاف الفقه الظاهرى. فقه الظاهر هو واحد مثل فـرائض الوضوء ستة أشياء، والعدد محصور فلا يزيد ولا ينقص ونقوم بحفظهـا هكـذا. وكذلـك الميراث وأعداده النصف فالربع فالثمن والثلثان فالثلـث فالسـدس ... إلخ فلا زيادة ولا نقصان. إنما الفقه الصوفى لـه مستويات فى الفهم تزداد شيئا فشيئا. ونتساءل لماذا؟ والإجابة هى أن فقه الظاهر فى الشريعة دالّ على الواقع والفقه الصوفى دالّ على نفس الأمر، والواقـع ثـبات ونفس الأمر متسع. وبفهم هاتين العبارتين يمكن حل كل المشكلات التى بين الدين والعلم فى رؤية الغربيين.

إذن لدينا الواقع ونفس الأمر. ولنتعرض لهذا بشئ من التفصيل:

الواقع هو ما يدركُه الإنسان بحواسِّه المعتادة. وبالتالى يشترك فى إدراكه سيدنا آدم مع آخر من يمسك فسيلة فتقوم عليه القيامة[67]. فمثلا كل البشر فـى كـل زمـان ومكـان يرون أن الماء شفاف وبتذوقه نجد منه العذب والملِح. ويرون الأشياء فى ظاهرها الحجر حجر والبشر بشر والقمر قمر

٦٧) يشـير بذلك إلى حديث مسند الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِى أبِى حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَـنَا حَمَّادٌ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله علـيه وسلم- « إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ ».

والشـــجر شجر. فهذا ما نسميه الواقع. والظاهر تعلّقَ مَناطُه بهذا الواقع. ونتســـاءل: لماذا يتعلق الفقه الظاهر بالواقع؟ قالوا لأنه هو المشترك بين الخلق، فلما جاء الإسلام يدعو الخلق أجمعين خاطبهم بقدر المشترك الذى اشتركوا فيه كلهم. ولذلك قال أيضا فيما رواه الشيخان (خ/م)[٦٨] ﴿ صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ﴾ فـإذا رأينا الهلال نصوم وإذا لم نر الهلال لا نصوم ببساطة. وهل يحتاج ذلك منا إلى مزيد آلــة وهى لن تكون متاحة عــند الجميع؟ قالوا: لا .. لا يحتاج الأمر إلى الآلــة. ونتساءل: هل منع الشـــرعُ الآلـــة؟ قالوا: أيضا لم يمنع الشرع الآلـــه. هل رأيتم الفرق بين أن يلومك بها ثم يجد بعض المسلمين الحرج فى ذلك لأنهم جهلة أو فقراء أو فى بدو فإنه لا يلزمك بها وأيضا لم يَلُمْ بألا تستعملها فأناط التكليف فى الصيام على الرؤية. والرؤية كلمة فى اللغة العربية تصلح للعلم. وقلنا قبل ذلك إن العلم هو إدراك جازم مطابق للواقع ناشئ عن دليل. فبوجود الهلال وجب الصوم. لأنه لم يقل "مَنْ أبْصَرَ" فعلقها بالبصر ولكن قـال النبى ﷺ ﴿ صُـــومُوا لِرُؤْيَـــتِهِ .. ﴾ وليس لإبصاره والرؤية تتحقق بالإبصار عند كثيريـــن وتـــتحقق بالآلـــة وتتحقق بالحساب وتتحقق بكل ما يوصلنا إلى وجود الهلال قطعا فى هذا المكان. فهناك فرق بين الدائرتين.

أناط الشرعُ فقه الظاهر بالواقع ولم يُنِطْهُ بنفس الأمر.

---

٦٨) وتمـــام الحديث برواية البخارى حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – يَقُولُ قَالَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – أَوْ قَالَ قَـــالَ أَبُو الْقَاسِمِ – صلى الله عليه وسلم – « صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ غُبِّىَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاَثِينَ ».

عودة إلى مثال الماء: الماء أيدروجين وأكسجين، والأكسجين يساعد على الاشتعال والأيدروجين يشتعل أى أنهما نار الله الموقدة. فعنصر يشتعل (يقيد نار) وعنصر يساعد على الاشتعال (يشعللها). إنما أناط الشرع به التطهير وقال لى توضأ واغتسل واستحم. فلا يأتى أحد ويقول إنها نار الله الموقدة فهو أيدروجين وأكسجين وأنا أخاف أن أضعه على يدى فتحترق. فنرد عليه ولكن الواقع ليس كذلك. فيقول لكن نفس الأمر هكذا. فأقول له بالفعل إن نفس الأمر هكذا. فقال إذن سوف أمشى مع نفس الأمر أليس الله يحب الحقيقة! إذن لن أتوضأ لأنها نار الله الموقدة وأنا من النار هربت. وهكذا يدخل فى أمور غريبة..فما هو الرد عليها؟ ببساطة أن الشرع علق أحكامه على الواقع ولم يعلقها على نفس الأمر.

ارتباط الفقه الصوفى بنفس الأمر:

أما فى الفقه الصوفى نجده لم يتعلق بالواقع وإنما يتعلق بنفس الأمر. ولذلك نرى فيه أشياء أخرى غير هذا الفقه الظاهر الجامد. فنرى فيه إيجاب المباح أى يجعل المباح واجبا. ونرى فيه فعل المكروه لكى أدِخَّ[69] نفسى أى أذلها. أما الحرام فلا لأننى لو فعلت الحرام فأنا بذلك أكر على الأصل بالبطلان. لأن المكروه والمباح والواجب والمندوب تحت افعل[70]. إنما الواجب افعل وإذا تركت أثمت، والمستحب افعل وإذا فعلته أثبت

---

٦٩) دَخَّه دَخًّا: أذلَّه. (معجس).

٧٠) ينقسم الحكم الشرعى إلى خمسة أنواع، فهى باعتبار ذاته إيجاب وندب وحرمة وكراهة وإباحة ومتعلقات هذه الأنواع على الترتيب هى: الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح. (راجع "الحكم الشرعى عند الأصوليين" للدكتور على جمعة، مرجع سابق.

والمـــباح افعل ولا حرج عليك إنما المكروه افعل وتركك أولى. فكلها تحت افعـــل أى جواز الإذن. فالجامع لهؤلاء الأربعة هو الإذن. فمثلا مأذون لك أن تـــأكل البصل لكن الأفضل ألا تأكله. فإذا أكلت لأنى أريد أن أدخ نفسى لأنـــى وجدتهـــا متكـــبرة والكـــبر حرام فارتكبت أخف الضررين. هذا فقه صـــوفى. ولكـــن ننتبه أنه لا يجوز أن يفعل ذلك بالنسبة للحرام. فمثلا لا يجـــوز أن تسرق لكى تدخ نفسك. ومن قال أن ذلك ممكن فهو جاهل ليس صوفيا ولا أى شئ آخر إنما هو جاهل. فإذا قال أحدهم: لكن هذا الشخص طيـــب، نرد عليه بأنه وإن كان طيبا لكن هذا مخالف للشريعة. إذن طريقنا هذا مقيدٌ بالكتاب والسنة[71]. أما إذا رأيت من يفعل المكروه نقول لك اتركه وأمـــره إلى الله. ولقد كانت بعض الطرق تأمر أتباعها بلبس سبحة وزنها ثلاثـــة أو أربعـــة أرطال حتى تتسبب فى تدلى رقبته خضوعا، ويأمره بأن يلـــبس البـــياض وينزل فى سوق السماكين ويجعل الناس تمسح فى ثيابه زفـــر الأكـــل بل ويطلب منهم ذلك. وهذا يجعلنا نضع مقياسا لعموم الناس عند السؤال عن اختيارهم للطرق الموصلة إلى الله.

---

٧١) "مذهبـــنا مقيد بأصول الكتاب والسنة"، هى من كلمات الإمام الجنيد سيد الطائفة وإمـــام الدنـــيا فى زمانه الذى عدَّه العلماء شيخ مذهب الصوفية (ت٢٩٨هـــ). راجع "الرســـالة القشـــيرية" للإمام القشيرى. كما جاء نفس المعنى على لسان القوم جميعهم أمثال الشاذلى والشعرانى فى لواقح الأنوار والدارانى فى طبقات السلمى والطوسى فى اللمـــع، وغـــيرهم. ومـــن الكلمات التى قالها كبار القوم: "هذا طريق رأسماله الصدق، وزاده الصبر، وقوته التقوى، فمن عدم الصدق لم يربح، ومن لم يتزود بالصبر انقطع، ومـــن لم يقتت التقوى هلك"، "كل وَجْد لا يشهد لـــه الكتاب والسنة باطل، وربما تنكت الحقـــيقة علـــى قلـــبى أربعين يوما فلا آذن لها إلا بشاهدين من الكتاب والسنة"، "إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسَّك بالكتاب والسنة ودَع الكشف وقُل لنفسك: إن الله تعـــالى ضَمِن لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها لى فى جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة، إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة". راجع (نظرات فى التصوف الإسلامى) للدكتور عبد الحميد مذكور، دار الهانى للطباعة والنشر، ٢٠٠١.

معايير اختيار الطرق الموصلة إلى الله:

لـيس مــن الضرورى أن أجعله يقوم بتعليق هذا الثقل فى رقبته. بعضهم ذهــب لفــرد غنى مليونير من كُرَمَاء الناس وقال لــه ادخل وقم بتنظيف عشة البط. فدخل لتنظيفها تربية لــه. والآخر جعل الناس تمسح الزفر فى ثيابه. وهل مسح الناس فى ثيابه حرام؟ بالطبع ليس بحرام وإنما شئ غير طيب. فكيف أفاضل بين الطرق؟ قال مشايخنا على أمرين:

١- قُرْبُها من السنة.

٢- قُرْبُهَا من اليُسْر والرِّفق.

فــإذا وجدت شيخا يقوم بالتربية بالهوادة واللين والرفق ورأيت شيخا آخر يقوم بالتربية بالعنف فأذهب لمن يتعامل بالرفق والهوادة. وإذا رأيت شيخا أقربُ حاله وسمته إلى السنة فلا أذهب لمن يقوم بتعليق الثقل فى رقبته بل أذهب لأقربهم سمتا بسيدنا رسول الله ﷺ .

ويتساءل البعض: ولماذا يذهب هذا إلى ذاك والآخر إلى الآخر؟

قالوا: سبحان الله إنها مشارب.

ففــى بعــض الأحيان القط لا يحب إلا خنَّاقه[٧٢] ولا يصلح معه إلا هكــذا. وإنما ذهابه إلى هذا الشيخ لأنه - سبحان الله - انجذب إليه. وما الذى جذبه؟ قال: معنى قام فيه. وما هذا المعنى؟ قالوا: لا نعرف.

---

٧٢) وهــو أحَــد الأمــثال الشعبية التى تتردد على ألسنة العامة (القط ما يحبِّش إلا خنَّاقه).

وســألوا ضريرا لا يبصر به تشوهات فى وجهه وجارته جميلة فتزوجته فسألوها إنه ضرير فهل أنت ضريرة! لماذا تقبلين به زوجا؟

قــالوا: طول السواد وقرب الوساد. فبعض الأحيان يحدث مثل هذه الأمور وسبحان الله الذى شغل كل قلبٍ بما شغله.

لكــن عــندما يتحــير الواحد ويريد أن يختار فلابد من متابعة السنة ومن قربها إلى اليسر.

ملخص:

إذن استفدنا اليوم إن الشرط الأساسى فى فقه التصوف هو ألا تكر الإشارة من العبارة على الأصل بالبطلان.

وعرفنا أن ذلك الفقه على درجات.

وعرفــنا أن فقــه الظاهر يتعلقُ بالوقع فى حين أن الفقه الصوفى يتعلق بنفس الأمر. ونفس الأمر فيه سَعَة.

ونفــس الأمر إذا دخلت فى الماء تجدها هيدروجين وأكسجين وإذا دخلت نفــس الأمر فى الهيدروجين تجده ذرة تدور حولها إلكترون واحد وتدخل فى النواة تجدها مرتبطة بطاقة لو سمحنا لها لخرجت منها طاقة تفجيرية مهولــــة. وهكــذا تتسع شيئا فشيئا معلوماتنا ولا تنتهى وبعد ذلك أيضا نكتشــف أن هذا الإلكترون سالب وليس موجب وهكذا كلما تعمقنا نكتشف أكثر وأكثر ونكتشف دائرة أخرى من الدوائر.

وكـــل ما سبق هو مقدمة للدخول إلى فقه التصوف كلمة كلمة كما تحدثنا عن ابن عجيبة وغيره.

وشكرا لكم.

ـــــــــــــــــــ تمت المحاضرة الثالثة.

وعندما انتهت المحاضرة سمح فضيلته للدارسين بالأسئلة:

* قامــت إحدى الدارسات بطلب الاستمرار فى المحاضرة أو زيادة وقتها لأننا لا نستمتع بهذا القدر البسيط.

فكان رد الشيخ عليها: ليس من الضرورى الاستمتاع فهذا الاستمتاع ليس مقصــدنا وإنمــا المقصــود هو الفائدة. أما أننا نريد الاستمرار فليس هو المطلــوب فالله تعالى لا يمل حتى تملوا[٧٣]. فليعبد أحدكم ربه طاقته. وأن نقصد بذلك وجه الله ولا نقصد تحصيل الاستمتاع ولو كان فى العبادة. فلو وجدنا المتعة فى الذكر تجد الشيخ يأمرك بالامتناع عنه. لأنه يمارسه وفى قلــبه شــئ من الدنيا وهو حب الاستمتاع. انتبهوا فالروح تتلذذ كالجسد ويحدث أن يكون مثل هذا مداخل للشيطان ويأتى الشيطان وينير لك الغرفة

---

٧٣) إشــارة إلى حديث البخارى: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أبيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أسَدٍ فَدَخَلَ عَلَــى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ هَذِهِ قُلْتُ فُلَانَةُ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا فَقَالَ مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا".

فتشـــعر فى قلبك بلذة لا توصف. وبعد ذلك يناديك أنا ربك فيرتعش الجسم كله وتدمع العين وبعد ذلك يقول أحللت لك الحرام. فأحد نتائج درسنا اليوم أن ترد عليه وتقول لـــه: اذهب يا لعين. لا تستجيبوا لهذه اللذة ولو كانت فـــى الروح والعبادة. فإن بعضهم قد ظهر لـــه الشيطان فى عرش نورانى فى السماء وقال: أنا ربك فاسجد لى .. فلو سجد لكفر[٧٤].

هـــذه فـــائدة الفقه الصوفى. ألا تدخل علينا حيل الشياطين ولا الروحانيات وغـــير ذلك. لماذا؟ لسبب بسيط أننا نعبد رب العالمين لأنه يستحق العبادة ولا نعبد اللذة ولو حصلناها. ولذلك بعد الأستمرار فى العبادة وتشعر باللذة تُسْحب اللذة فيقول لنفسه: لماذا سُحِبت منى اللذة..أنا لست مبسوطا. لابد مـــن أن نعبد بغير لذة لأن العبادة كانت لله أم كانت للذة؟ هذا اختبار. فإذا كانـــت لله فالله باقٍ فنعبده. وبعد ذلك تأتى اللذة بعض الشئ فيسر المريد ولكـــنها لا تُنْتَظرْ فتذهب. وهذا نوع من الترقى فكلما ذهبت فهناك ترقى. ومن هو ما زال فى البداية لا ينتبه لمثل هذا الأمر ويطلب لذة دائمة. وهذه ليست عبادة[٧٥].

---

٧٤) وشيخنا يشير إلى الحوار المعروف بين الإمام عبد القادر الجيلانى وإبليس لعنه الله لما جاءه وأنار لـــه الغرفة فعرفه الإمام إلى آخر ما هو معلوم من هذه القصة.

٧٥) ومن هنا ندرك جميعا أهمية الشيخ.

* وسأل أحد الدارسين عن حديث الصحيحين فى رؤية النبى ﷺ وهل هى يقظة أم مناما[76] وهل ترتبط بالحوار معه ﷺ ولماذا بوّب البخارى لذلك بالمنام.

ورد فضيلة الشيخ قائلا: وهل أحاط وجاء بكل العلم الذى بين السماء والأرض! فتأويل حديث رؤيته ﷺ كما درسنا اليوم بمعنى أصلى ومعنى تابع. فهل معنى أن يرانى فى اليقظة أنه يرانى يوم القيامة..هل معناه أن قبل الموت بقليل..هل معناه أنه سيراه فى اليقظة قريبا ؟إن شاء الله فى الدنيا. قد يكون هذا فلماذا يضيق ما كان واسعا. وهل معناه كل هذا وعلى اختلاف الناس! قد يكون. فلما يضيق البخارى واسعا. وهل البخارى التزم على نفسه أن يجمع كلام الناس أجمعين فى الدين؟! أبدا .. وإنما ما صح عنده بشروطه.

** وحاول نفس الدارس إعادة الكلام بطريقة غير واضحة فسأله الشيخ ماذا تريد تحديدا؟ فرد الدارس: أريد أن أرى النبى ﷺ . فعالجه الشيخ على

---

٧٦) من روايات ذلك فى البخارى " حَدَّثَنَا عَبْدَانُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِىِّ حَدَّثَنِى أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ « مَنْ رَآنِى فِى الْمَنَامِ فَسَيَرَانِى فِى الْيَقَظَةِ ، وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِى » . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ إِذَا رَآهُ فِى صُورَتِهِ"، "حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُخْتَارٍ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِىُّ عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ « مَنْ رَآنِى فِى الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِى ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَخَيَّلُ بِى ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ »، "حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خَلِىٍّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنِى الزُّبَيْدِىُّ عَنِ الزُّهْرِىِّ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ قَالَ أَبُو قَتَادَةَ - رضى الله عنه - قَالَ النَّبِىُّ ﷺ « مَنْ رَآنِى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ »، "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ حَدَّثَنِى ابْنُ الْهَادِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ سَمِعَ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ « مَنْ رَآنِى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَكَوَّنُنِى »، ومثل ذلك عند مسلم فى صحيحه.

الفور: هذا لا يُطْلَبُ..هذا يُوهَب. وهناك فرق بين الطلب والوَهَب. فهذا لا يُطْلَب يا بنى. مهما فعلت ومهما قلت فليس هناك أنا نفسى أشوفه. لكن قد تراه وتأتى لى وتقول أنا رأيت سيدنا رسول الله ﷺ اليوم فى المنام فأقول لك مبروك..حلو. لأن رؤية رسول الله ﷺ فى المنام على صفته الواردة فى الشمائل* وهو بأصله هكذا ولو من غير كلام فالأصل فى مشاهدة النبى ﷺ هى الرؤيا.

* سـؤال: من ليس لـه شيخ يوجهه فكيف يعرف موضوع لذة العبادة أو لذة قراءة القرآن وغير ذلك وما هو الضابط لهذه المسألة؟

وكـان جـواب الشـيخ: ألا يتعلق..أى ألا يفرح بالموجود ولا يحزن على المفقود.

---

*) والشيخ يشير هنا إلى كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذى صاحب السنن، وهو مـن أجل الكتب وأمتعها فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم. ولقد شرحه العديد من العلماء.

عناصر المحاضرة وأفكارها

الحديث عن كتاب: " الأكياس والمغترين ": للإمام الحكيم الترمذى:

الاهتمام بالجانب الآخر للأحكام الظاهرة

فكان يرى أن المتمسك بظاهر الشريعة فقط دون الوصول إلى جوهرها ولبها ومرادها ومقصدها وما تؤول إليه فإنه يكون من الْمُغْتَرِّينَ بالله.. **مَغْرُور** لأنه جمع بين أمرين:

الطاعة الظاهرة للأوامر والنواهى.

عدم الوصول إلى مقصد الشرع.

وفى مقابلة المغتر شخص أسماه " الكيس " لقول النبى ﷺ ﴿ المؤمنُ كَيِّس فَطِن ﴾ ،

والكيس هو الذى يُدركُ مُرَادَ الله والذى إذا ما أقام ذلك الظاهر على نفسه أقامه وتغيا به وهدف به وأراد به وقصد به مراد الله من هذا التشريع. فهو رضى الله عنه يبحث عن ذلك الشخص الذى يقيم الشرع فى نفسه ولكنه لا يحقق الخشوع فى الصلاة، ولا يحقق الأدب فى الوضوء..ولا يحقق القصد وإخلاص النية فى الحج..وهكذا ويعتبر أنه من المغترين لأنه لم يفهم المعانى ولم يتبع الأسرار والمقاصد.

وهنا لابد أن نهتم بالإشارة مع العبارة، فالعبارة هى الظاهرة والإشارة هى ما يتبع ذلك ويُفْهَم منه شيئا فشيئا.

لابــد أن نهتم بالمقاصد..لابد أن نهتم بالمعانى..لابد أن نهتم بالمآلات (فعلك هذا إلى ماذا سيؤدى).

إذن هذه الأشياء هى التى سوف تفرق بين فقه الظاهر والفقه الصوفى أو فقه الباطن.

معانى الأشياء..مقاصد الأشياء..مآلات الأشياء

وضرب أمثلة ومنها الحيل الشرعية فهى صور صحيحة إنما فيها **حيلة كَرَّت على المقصد بالبطلان**. الحيلة والتوصل بالحرام إلى الحلال هو جانب / وإقامة ظاهر الشرع دون معناه.

وبضدها تتميز الأشياء فعندما نعرف أن هذا منهى عنه فنعرف بالتالى معنى المتصوف:

وفصل باب الوضوء كمثال للمغترين والأكياس: ... هكذا يفكر: *لا تهتم بالشكل وحده،* ولا تغتر به دون أن تنظر إلى معناه..إلى مآله..لا تغتر به دون أن تنظر إلى مَقْصِدِه..مقصده ومنتهاه..لا تغتر به وتجعله وهو حرام وسيلة إلى الحلال كمن اغتصب ماء فتوضأ. وهكذا حتى لا تكون من المغترين بل تكون من الأكياس.

و المغترون أهملوا هذا كله وأقبلوا على صب الماء.

نص المحاضرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

الحديث عن كتاب: " الأكياس والمغترين ":

هناك كتاب في موضوعنا وهو قضية الفقه الصوفي للحكيم الترمذي، وكان الحكيم الترمذي[77] رضي الله تعالى عنه يؤكد كثيرا على هذا المعنى: الاهتمام بالجانب الآخر للأحكام الظاهرة.

فكان يرى أن المتمسك بظاهر الشريعة فقط دون الوصول إلى جوهرها ولبها ومرادها ومقصدها وما تؤول إليه فإنه يكون من الْمُغْتَرِّينَ بالله.. **مَغْرُور** لأنه جمع بين أمرين:

١. الطاعة الظاهرة للأوامر والنواهي.

٢. عدم الوصول إلى مقصد الشرع.

فيكونُ بذلك مغترا.

---

٧٧) وهو أبى عبد الله محمد بن على بن بشر الترمذى المعروف بالحكيم (ت٣٢٠ هـ)، صاحب نوادر الأصول وصاحب الكتب الكثيرة فى التصوف والنفس وغيرها وكان دائما يحب الاستدلال بالكتاب والسنة ولا يخرج عن الشرع الشريف فى شئ، لكنه كان يبحث عن مرادات الله فى هذا الشرع الشريف وما وراءه. ابتلى فى آخر حياته ظلما بالبدع وإدعاء النبوة فاعتزل الناس. وهو غير معاصره الإمام أبى عيسى الترمذى صاحب السنن.

وفــى مقابلـــة المغــتر شخص أسماه " الكيس " لقول النبى ﷺ ﴿ المؤمنُ كَيِّس فَطِن ﴾ [78]، **والكيس** هو الذى يُدركُ مُرَادَ الله، والذى إذا ما أقـــام ذلك الظاهر على نفسه أقامه وتغيا به وهدف به وأراد به وقصد به مراد الله من هذا التشريع.

وهنا لابد أن نـهتم بالإشارة مع العبارة، فالعبارة هى الظاهرة والإشارة هى ما يتبع ذلك ويُفْهَم منه شيئا فشيئا.

لابد أن نـهتم بالمقاصد..لابد أن نـهتم بالمعانى..لابد أن نـهتم بالمآلات (فِعْلك هذا إلى ماذا سيؤدى؟).

إذن هذه الأشياء هى التى سوف تفرق بين فقه الظاهر والفقه الصوفى أو فقه الباطن.

معانى الأشياء..مقاصد الأشياء..مآلات الأشياء

إذن هناك مغرور وهناك كيس.

---

٧٨) الحديـــث رواه صاحب مسند الفردوس بلفظ "المؤمن كيس حذر" ذكره ابن حجر فى الفتح.

فــألف كتابه الماتع " **الأكْيَاس والْمُغْتَرِّين** "[٧٩]، الأكياس جمع كَيِّس[٨٠]،

والمغترين جمع مَغْرُور أو مُغْتر[٨١].

فهــو رضـــى الله عنه يبحث عن ذلك الشخص الذى يقيم الشرع فى نفسه ولكــنه لا يحقــق الخشوع فى الصلاة، ولا يحقق الأدب فى الوضوء..ولا يحقق القصد وإخلاص النية فى الحج..وهكذا ويعتبر أنه من المغترين لأنه لم يفهم المعانى ولم يتبع الأسرار والمقاصد.

ولنضرب أمثلة تساعد على الفهم :

تحدث عن الحيل:

مثل شخص يريد أن ينشئ حيلة يتوصل بها إلى الربا الذى فيه تظالم والذى فيه أكل مال الـــناس بالباطل لكن الصورة من الخارج صحيحة لا يستطيع القاضى أن يعترض عليها وهى توصل فى نفس الأمر إلى المحرم.

---

٧٩) وهـــو كتاب مطبوع حققه الدكتور محمد الجيوشى عميد كلية الدعوة الإسلامية ونشـــر بالقاهـــرة عـــام ١٩٨٩، ولقد تفضل مولانا الشيخ على جمعة فناولنى نسخته الخاصة لتصويرها والسماح للدارسين بنسخها لعدم توافرها بالسوق فكان شرفا لى أن أستلمها من يده، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

٨٠) كَـاسَ الولــدُ كــاس كَيْسًا، وكِيَاسَةً: عقلَ. فهو كَيْسٌ، وكَيِّسٌ. وجمعها أكْيَاسٌ وكَيَســةٌ، وهو الأكْيَسُ وهى الكُوسَى والكِيسَى وهنَّ الكُوسَى والكُوسِيَات. وكاس فلانا غلبه بالكِياسة، وكايَسَهُ غالبه بالكَيْس. والكِيَاسَةُ تمكُّنُ النفوس من استنباط ما هو أنفع (معجس).

٨١) غـرَّ الــرجلُ غــرارةً وغِرَّةً جَهِلَ الأمورَ وغَفَلَ عنها فهو غِرٌّ وغرَّ فلانا غرًّا وغُــرُورًا خدعه وأطمعه بالباطل. يقال غرَّهُ الشيطانُ ونحوُه وغرَّته الدنيا فهى غَرُورٌ، وهو مغرورٌ وغَريرٌ. وغُرَّ الرجلُ كان ذا غفلة وقلَّت فِطنتُه فهو غِرٌّ. واغْتَرَّ فلانٌ غَفَلَ، واغــتر بكذا خُدِعَ به. واستَغَرَّ اغترَّ، والغَارُّ الغافلُ، والغَرَارَةُ الغفلةُ. والغِرُّ من ينخدع إذا خُدِعَ. والغِرَّةُ غفلةٌ فى اليقظة والجمع غِرَرٌ. والغُرُورُ كل ما غرَّ الإنسان من مال أو جاه أو شهوة أو إنسان أو شيطان. (معجس).

جاء أحدهم ودخل على الآخر وقال لــه وقد كان يتاجر فى القماش: أريد منك سلف ١٠٠٠٠ جنيه.

فرد عليه: ومن أين فليس معى عشرة أو خمسة.

قال لــه: طيب..ألن نشرب القهوة!

ثم شربا القهوة،

وبعدها قال لــه الأول مرة أخرى: أتبيع لى ما فى دكانك من قماش؟

فرد عليه قائلا: حاضر، وبكم تشتريه؟

قال لــه: أشتريه باثنى عشر ألف لكن أسدد لك بعد شهرين.

قال لــه: موافق، توكلنا على الله. هذا القماش أصبح ملكا لك.

وقــام صــاحب الدكان بفتح الدفتر وكتب فيه أن فلان الفلانى اشترى القماش بمبلغ ١٢٠٠٠ والسداد بعد شهرين.

ثم فرغا من شرب القهوة.

وقال الأول: أتشترى هذا القماش منى (هذا القماش الذى فى دكانك والذى أنا اشتريته من عشرة دقائق)؟

رد عليه: موافق، فهى صناعتى ومهنتى ولكن بكم تبيعه لى؟

قال لــه: بعشرة.

قال لــه: موافق، إذن بعنا.

رد عليه: بعنا واشترينا.

وقــام صاحب الدكان بفتح درجه وأخرج منها العشرة آلاف وسلمها للآخر فاستلمها ومضى.

والآن نريد أن نحلل ماذا حدث:

ما حدث هو أنه أخذ ١٠ وتم تسجيل ١٢ عليه فى الدفتر، وهو قرض جر نفع فهو ربا.

لكـــن تفصـــيل الكلام أنه قد اشترى سلعة بالأجل بمبلغ ١٢٠٠٠ ثم باعها فورا بمبلغ ١٠٠٠٠، فهل فى ذلك شئ حرام! عندما نذهب ونسأل المفتى هل هناك فى هذه المعاملة حرام: واحد نزل السوق واشترى بضاعة بمبلغ ١٢٠٠٠ جنيه بالأجل ثم باعها فورا وحالا بمبلغ ١٠٠٠٠ جنيه فهل هذا حـــرام؟ يـــرد أنه لا حُرْمَة فالشراء حلال والبيع حلال والبيع الثانى حلال والتقسيط حلال والأجل حلال فلا حرام.

وفـــى الظاهـــر التقسيط وبيع الأجل حلال، وكل السوق هكذا والبيع هكذا اشترى بالآجل وأبيع وهكذا.

هذه الصورة صحيحة إنما فيها **حيلة كَرَّت على المقصد بالبطلان.**

وهـــو ألا نقـــوم بالاقتراض بالزيادة. فإذا قمت بهذه الحيلة واستلفت من الآخـــر بالزيادة فهو غير جائز. أى أنك ألبستها ثوب الشرع فى حين أنـها معاملة من جهنم.

كل هذه من صفات المغترين ضد الأكياس.

قال عن هؤلاء الذين يفعلون هذا: هو موضوعيا صحيح ولكن كيف تفعل هذا..كيف تغتصب الماء لتتوضأ بـــه! كيف تغتصب قطعة الأرض من أجل أن تبنى عليها مسجدا!

الحيلة والتوصل بالحرام إلى الحلال هو جانب

وإقامة ظاهر الشرع دون معناه

وبضـــدها تتمـــيز الأشياء فعندما نعرف أن هذا منهى عنه فنعرف بالتالى معنى المتصوف:

المتصـــوف هــو الذى يسعى إلى المعانى والأسرار والأنوار والمآلات والمقاصــد وروح الشريعة ولا يرتكب الحيل ولا الوقوف عند الظاهر ولا التوسل بالحرام إلى الحلال.

فعـندما يقــوم بشئ يحصر فيه نفسه هكذا وإذ به قد تجاوز مراد الشرع الشريف. والأمثلة كثيرة فى هذه الناحية والصور كثيرة من التى فيها نوع من أنواع الظاهر والتمسك به ولكنه يضيع الشريعة.

فعلى سبيل المثال:

أحــد الأغنياء – وهذا حدث بالفعل – وكان وقتها يوجد بعض المشايخ يتفنــنون فى موضوع الحيل ويسعدون بأنهم درسوا وعرفوا كيف يلعبون بالشرع فقال أحدهم للغنى: كم تخرج زكاة مالك؟

فقــال لــه: أخــرج حوالى ١٠٠ جنيه – وهى من جنيهات زمان أى الجنيهات الذهب.

فقــال لــه: هناك حيلة شرعية وهى أن تضع المائة جنيه الذهب فى صرة وتقفل عليهم وتضعهم فى كيلة قمح (شوال قمح) أى أن كيلة القمح هذه زكاة زروع وكيس الذهب الذى بداخلها زكاة مال ثم تأتى بالفقير وتدير الحوار الآتى معه:

تقول لــه: هذه زكاتى أتقبلها؟

يقول قبلت.

ثم تجلس معه وتشرب معه القهوة وأثناء شربه للقهوة تسأله:

ماذا عساك تفعل بهذه الغلة؟

فيقول لك سوف أطحنه وأفعل به كذا وكذا.

فتقول لــه: ولماذا أليس من الأفضل أن تأخذه نقودا..كم ثمنه؟

يرد عليك بأنه لا يساوى ثلث جنيه.
فتقول لــه: خذ يا بنى جنيه أنفع لك ولأولادك وتكسوهم وخلافه.
فيقول لك طبعا أوافق يا سيدى.
فتقول لــه: هل أنت محتاج إلى هذا الحد..
إذن أعطيك جنيهان بدلا من الجنيه فيسر الفقير جدا.
وبذلــك يكون قد اشترى الغنى من الفقير الزكاة بمبلغ جنيهان، فيسترد المائة جنيه الذهب الأصلية ويطعم الغلة للدجاج.

وهــل هــذا يرضــى الله! انتبهوا فكل ما سبق صحيح من وجوه. فلنحلل الموقف:

إذا لــم تكــن هــناك صرة المائة جنيه فيها والفقير فعلا تملكها فهو تملك صــحيح، وخرجــت زكاة الغنى بالتالى صحيحة، واشترى منه زكاته وهذا جائــز. حتى ولو أعطاه أكثر من ثمنها، نعم جائز بل نقول لــه الحمد لله فلقــد أغنيــت الفقــير بــدلا من الطعام فقط وسعت عليه وكسوة وعلاج وخلافه.

لكــن ماذا حدث بعد ذلك انتبهوا لفعل الله: هذا الرجل كان من الإقطاعيين وكان لــه ابن وحيد فمرض الولد فنزل به القاهرة ليعالجه وأخذ ينتقل من طبيــب لآخر وينفق على ذلك حتى أنفق حوالى ٦٠ جنيها. وبعدها ألهمه الله بأمرين:

- المائـــة جنــيه التى سرقتها منى – فهو قد سرقها من الله – سوف تدفعها لكنك سوف تدفعها فى مرض الولد.
- وأن هذا الولد ليس لك.

فاشـــتد صرفه وأصبح كالمجنون فهو يريد إنقاذ الولد واستمر فى الصرف حتى وصل إلى آخر المائة جنيه فمات الولد. إذن فقد المائة وفقد الولد ولم تصلح معه الحيل.

إنــه لــم يتنــبه على من يضحك ومع من يتعامل..هل تعامل الله أم تعامل الخلق!

وعودة إلى كتاب الحكيم الترمذى:

فيقول الحكيم الترمذى كمثال فصلٌ فى الوضوء[82]:

ومـــن أفـعـــال الـمـغـتـريـــن – ولقد تكلمنا عنهم – أنــهم قـــبـلـوا الـفــرائض عـــن الله عـــز وجـــل أن يـقـــيـمـوها ويـؤدوهـــا إلـيــه وافـيــة أى أنهم قبلوها ويؤدوهـــا كأنهم يقولون لابد أن نعمل فعلا يا رب ولماذا تقوم بهذا الفعل،

82) مـــا هـــو مكتـوب بـهـذا الـخـط (الـفـونـط) فـــهو من كـلام الـحـكيم الـتـرمـذى، ومـــا حولـــه شرح فضيلة الدكتور على جمعة.

ألـيس مـن الأفضـل ألا تخرج زكاتك وينتهى الموضوع على ذلك؟ فيرد عليك: أعوذ بالله فأنا سوف أخرجها بالحبة فأنا أعرف ربنا.

انتـبه، علـى مـن تضحك! هذا هو الكلام. فالإنسان كالغابة..لماذا تخرج الـزكاة وأنت تريد استردادها..يرد عليك أستغفر الله أن سوف أخرجها ثم أشتريها. فهو أمام نفسه لم يرتكب شيئا فينطبق عليه القول ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (البقرة ٢٠٤) أى كأنه يقول يا رب وشهده على ما فى نفسه.

وهـو نفس مثال من يصلى بلا خشوع، وكذلك مثال من احتال على الربا والـزكاة ثـم عجـزو ا عن الـوفـا ء بـهـا فلا تستطيع نفوسـهم أن تدفعهـا طيـبة فهـو يريد أن يعطى باليمين ويأخذ بالشمال فقـصـروا ولـهـوا عـن الـعـنـايـة بـهـا و أقـبـلـو ا عـلـى أشـكـا لـها وهـو هنا يصف ما قلناه فـعملـو هـا فـهـذ ا غـرور نـفـس هذا هو الغرور. فهو يتحدث عن الأكياس والمغترين. فهذا غرور النفس..

فـنـجد أحد هـم إذ ا تـوضأ وانتبهوا فنحن نتكلم عن باب الوضـوء ولقد ضربنا الأمثلة السابقة حتى نفهم الكلام ونحمل الكلام عليه فـنـجد أحد هم إذ ا تـوضأ تـرك أدب الـوضـوء لأن الوضـوء عـنده إثـبات حالة و أقـبـل عـلـى صب الـمـا ء وليس فى ذهنه ما هو سر هذا الوضوء وما روحه وماذا سوف يفعل فيه

وما معناه وإلى من سوف يذهب الآن. لم يدرك أنه وضوء حسى فى مقابلته تطهر معنوى، فهل استعد له؟ لا، بل إنه ركز على الماء فأكثر منه أى أكثر من صب الماء لدرجة إغراق ثيابه وأسبغ الوضوء يريد بذلك انظر إلى المواطن الدقيقة القلبية التوقير للتطهير والوفاء لأمر الله فأنت عندما تقوم بتصويره بالفيديو تجده يضرب الماء بشده فى وجهه ويدلك بعنف وشدة وجهه ويرفع صوته بالتلفظ باسم الله جهوريا وكأنه يؤدى دورا تمثيليا. هناك شئ غلط خطأ..ماذا هناك إنه مغتر. يريد بذلك التوقير للتطهير والوفاء لأمر الله وهذا كيف ننصحه فهو مغتر هذا هو الشيخ الناصح أى الحكيم الترمذى لم يفتن بهذه الأفعال.

وإذا سألت أحدهم: لماذا تفعل كل ذلك؟

يرد عليك بغلظة:لأنه الوضوء وأنا أعظّم شعائر الله وذلك أنه أمر بالغسل فالغسل أن يبل الجلد والبشرة وأصول الشعر أى أن تصل إليه الماء ولكن ليس بهذا العنف وليس بهذه الكمية وليس بهذه الطريقة. إذن الشيخ يُربّى. ويذكر اسم الله فى مبتداه ويستقبل بوضوئه القبلة فالمغتر يلهو عن اسم الله فهو يركز على الماء ويجعل كل تركيزه فيها ويلعب بالماء صبا صبا يرى تطهيره فى كثرة

الصب وهو تطهيره هنا فى قلبه وليس فى كثرة الصب، ولكن كلما ابتل ويخرج علينا فى المسجد وكله بلل فنقول عنه إنه قد أسبغ الوضوء وهذا شئ جميل وطيب فيصاب بالوسواس بعد ذلك فإذا فعل طابت نفسه تجده مبسوطا وسعيدا من ذلك، فهو مبسوط ولكنه لم ينتبه أنه لم يذكر اسم الله ولم يقم بالأمر برفق ولم يطع فى عدم السّرَفِ فى الماء. أى أنه لم يقم بأى فعل مطلوب ويرى أنه قد وفى أمر الله عز وجل. قال الله تعالى فى تنزيله يعير أقواما من هذا الصنف ﴿ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (الأنعام٧٠) فالحياة الدنيا هى النفس فأعلمهم أن هذا الذى يدينون إنما لهو ولعب وغرتهم النفوس.

قال رسول الله ﷺ عندما مر على سعد وهو يتوضأ ما هذا السرف؟ قال: أفى الوضوء سرف يا رسول الله؟ قال: نعم وإن كنت على شاطئ نهر[٨٣]. إذن الحكيم الترمذى يُورد الكتاب والسنة أى أن طريقنا هذا مقيدٌ بالكتاب والسنة. انظر كيف فهم هذه

---

٨٣) الحديث فى سنن ابن ماجه ومسند أحمد وتمامه فى المسند حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِى أَبِى حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ حُيَىٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِىِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِى أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ « مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ ». قَالَ أَفِى الْوُضُوءِ سَرَفٌ قَالَ « نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ »

الآيــة وماذا فهم منها وقد لا نجد فى أى تفسير هذا الفهم. استَقلَّ القرآنُ عنده وخاطبه خطابًا مباشرةً ﴿ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْــيَا ﴾ فانزلها على هؤلاء. وتقيد بأدب رسول الله وهو يعلم الأمة..ما هذا السرف.

وعن أبى الدرداء[٨٤] ﴿ أن رسولَ الله ﷺ مَرَّ بنَهَر[٨٥] فأخذَ منه قَعْبًا فتنحى فتوضأ ثم رد فَضْلَهُ إلى النهر فقال: يُبْلغُه الله أقواما ﴾ والقعب ككوب شاى صغير. أى هذه الفضلة يستفيدوا منها ناس آخرين فى مكان آخر.

وعن ابن أخت النجاشى[٨٦] قال: ﴿ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لبلال يا بلال اثتنى بالميضأة، فتوضأ وضوءًا لم يَلِتّ منه التراب ﴾

أى أنــه توضأ بماء يا دوبك التراب الموجود على الجلد لم ينزل. لَتّ أى شَدَّ..يَلِت أى يشد منه التراب أى وضوء خفيف بحيث أن التراب الذى كان علــى أعضائه من السفر وغيره لم ينزل. فكأنه مسيس بسيط جدا لدرجة

---

٨٤) راجع الحديث فى كنز العمال ومجمع الزوائد.

٨٥) كــل كلمة ثلاثية عينها ساكنة وكانت هذه العين من حروف الحلق الستة يجوزُ فَــتْحُهَا فتقول: نَهْرٌ و نَهَر، ونَعْلٌ و نَعَل و ونَحْوٌ و نَحَو و بَغْلٌ و بَغَل و شَعْبٌ و شَعَب هكــذا، لغتان للعرب. وحروف الحلق الستة كما جاء فى تحفة الأطفال فى علم التجويد وقواعده للإمام الجمزورى:

هَمْــزٌ فَــهَــاءٌ ثُــمَّ عَــيْــنٌ حَــاءُ   مُــهْمَلَــتَانِ ثُــمَّ غَيْــنٌ خَــاءُ

٨٦) راجع أسد الغابة. لتَّ الشئ يلته إذا شده وأوثقه

أن التراب ما زال عالقا هنا وهناك. وهذا من الرحمة والتخفيف. فهو يقول لك معناه وأن المطلوب هو معناه.

قال رسول الله ﷺ ﴿ خَيْرُكُم أَقَلُكُم صبًا للماء فى الوضوء ﴾
وعن الزهرى أنه قال: من السنة أن يستقبل بوضوئه القبلة.
ويروى عن رسول الله ﷺ ﴿ أن الصلاة ثلاثة أثلاث ثلث منها للوضوء وثلث منها الركوع والسجود وثلث القراءة ﴾.[87]

وروى عنه فى حديث آخر أنه استسقى من بئر فذهب عمر يستقى له فقال: مهلا يا عمر فإن طهورى من صلاتى وإنى أكره أن يشركنى أحد فى صلاتى. أى أنه يريد أن يأتى بالماء بنفسه كى يأخذ الثواب كاملا وهذا لا يمنع أن يعين أحدهم أخاه فى الوضوء إذا احتاج.

هكذا يفكر: لا تهتم بالشكل وحده، ولا تغتر به دون أن تنظر إلى معناه..إلى مآله..لا تُغتر به دون أن تنظر إلى مَقْصِدِهِ..مقصده ومنتهاه..لا تغتر به وتجعله وهو حرام وسيلة إلى الحلال كمن اغتصب ماء فتوضأ. وهكذا حتى لا تكون من المغترين بل تكون من الأكياس.

---

٨٧) رواه البزار.

والمغترون أهملوا هذا كله وأقبلوا على صب الماء.

هذا الكتاب قليل حجم الصفحات فهو حوالى ١٥٠ صفحة وقضية الوضوء فى صفحة ٥٥ أى مائة صفحة، وننصح به.

ـــــــــــــ تمت المحاضرة الرابعة.

وبعد انتهاء المحاضرة فتح مولانا الباب للسؤال:

* علمنا موقف المغتر، فهل الكيس عكس ذلك؟

نعم مباشرة ولكن ليس عكس صب الماء فقط فالمؤلف قال إنه يترك ذكر الله وأنه يترك آداب الوضوء وأنه يترك قلة الماء. إذن الكيس عكس ذلك فيذكر الله ويتمسك بالآداب ويعرف مقاصدها ويقلل الماء.

* اشْتُهِرَ الإمام أبو يوسف[٨٨] بكثرة استخدامه الحيل الشرعية كثيرا أثناء القضاء، فهل هناك حيلة شرعية محمودة ومذمومة؟

طبعا فهناك الحيلة الشرعية المحمودة التى توصل إلى مقصد الشرع، والحيلة الشرعية المذمومة هى التى تفرغ الشرع من محتواه. فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فهو يريد أن يحتال لكى يطبق شرع

٨٨) هو الإمام الحافظ المتقن المجتهد المطلق أبو يوسف، صاحب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان وتلميذه وكان شديد الملازمة له. توفى أبو يوسف سنة ١٨٢هـ. وهو أحد الأصحاب الثلاثة للإمام أبى حنيفة (زفر، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن).

الله على نفسه فوجد أن تطبيقه بهذه الكيفية المجردة يسبب ضررا فأحتال لهـذا بحيـث أن أفعـل هذا فى الخفاء. فهذه حيلة بحيث أن أفعل هذا مع محاولتى لرفع الضرر الناتج من هذا الفعل. فالشيخ عبد الوهاب عامر ألف فـى الحـيل الشـرعية وقسـمها إلى حيل ممدوحة وحيل مذمومة وتكلم بالإفاضـة فى هذا الصنف من الحيل التى تحتال للشرع لا أن تحتال على الشرع.

* سؤال عن البيع على البيع وحكمه؟

أنـا اتصـلت بك فى التليفون وقلت لك: أرسل لى ٥٠٠ ثوب بسعر ١٠٠ جنـيه الثوب، فرديت علىّ: يكونوا عندك إن شاء الله خلال ساعة فالعربية سوف تصل بعد نصف ساعة فأحملهم لك وأرسلهم. وبعدها اتصل بك آخر وطلـب منك ٥٠٠ ثوب فقلت لـه: لا يوجد لدىّ، فقال لك: وكيف ذلك أنا رأيتهم عندك أمس فقلت لـه: الشيخ علىّ اتصل بى الآن وبعت لـه. قال لـى: بكم بعته فقلت لـه: بعته بمبلغ ١٠٠ فقال لك: أنا أدفع ١١٠، فهذا هو البيع على البيع. ثالث دخل فى الموضوع. ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع أحدكم على بيع أخيه أو أن يخطب على خطبته[٨٩]. فمن يستجيب للبيع على البيع ارتكب إثما والشارى ارتكب إثما أيضا حتى ولو لم يتم دفع الثمن حالا فالتقسيط جائز.

---

٨٩) والحديـث فى الصحيحين وتمام رواية مسلم: " وَحَدَّثَنِى زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْـنُ الْمُثَنَّى جَمِيعًا عَنْ يَحْيَى الْقَطَّانِ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِى نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لاَ يَبِعِ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلاَ يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إِلاَّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ".

كمـــا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نـهى عن بيعتين فى بيعة[٩٠]. ولقد مـــثلوا لهـــا بالصورة التى شرحناها وعللوا بهذا التعليل أنها حيلة للربا، ولذلـــك حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذه إحدى صور بيعتين فى بيعة.

* اشترى بضاعة بالأجل وهو محتاج إلى السيولة ليبيعها فورا وبسعر أقل فهل هذا جائز.

نعم، وهذا ما يسمى حرق البضاعة وهو حلال فى صورته المبدئية أى أن يفعله مرة واحدة لاحتياجه والسوق سوف يصححنى ويعطينى. ولكنه حرام إذا استمر، ولذلـــك قـــالوا يـــغتـــفر فـــى الابـــتداء مـــا لا يـــغـــتـــفـــر فـــى الـــدوام. أى أن الأمر يكون حلالا فى أولـــه ولكن الاستمرار فيه حرام. فلو كان على شيك يحل الآن فقمت بحرق البضاعة[٩١] الـــتى عـــندى حـــتى لا أدخل السجن. فهذا ظرف يجوز فيه ذلك لأنه يريد

٩٠) والحديـــث فـــى النســـائى وابى داود والترمذى، وتمام رواية النسائى: " أَخْبَرَنَا عَمْـــرُو بْنُ عَلِيٍّ وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالُوا حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– عَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ".

٩١) وهـــو اصـــطلاح شاع فى السوق فى الفترة الأخيرة، ولا غرابة أن يتحدث به شـــيخنا فهو مدرك للواقع موسوعى ملم بكثير من العلوم وخاصة فى مجال المحاسبة والاقتصـــاد والرياضـــيات (راجـــع السيرة الذاتية لمولانا بموقع دار الإفتاء على شبكة الإنترنيت).

سيولة فاضطر إلى ذلك. لكن كونه يفتح محلا لحرق البضاعة أى أن البالونة تزداد عندك فى مديونيتك فهذا ألعن من الربا وهو لا يجوز.

* اختلط علىّ الأمر بين هذه الصور وبين النسئ؟

النسئ الذى تقولى عنه معناه أنى أشترى منك القماش فعلا بمبلغ ١٠٠٠ وسوف أسددها فى ٣/١ القادم فعندما حل الموعد اتصلتى بى تليفونيا تطلبين المبلغ فقلت لى أنا أمامى بيعة ممتازة الآن ولو أعطيتكى المبلغ الآن سوف تضيع علىّ أخّرى عنى الدين إلى ٣/١ ويصبح المبلغ ١١٠٠، وهذا لا دخل له بمحاضرتنا. أى أنه تم تأجيل السداد مقابل زيادة المبلغ. وهذا هو النسئ وهو حرام.

ولكن انتبهوا فهذه صورة والأخرى صورة أخرى **وأول درجات الفقه أن نميز بين الصور** وإذا لم يتم التمييز بين الصور فقم بالتخصص فى أى شئ آخر كالحديث. لا تتخصصوا فى الفقه وأنتم لا تميزون بين الصور لأن مبنى الفقه هو التمييز بين الصور. وهذا يحتاج إلى تدريب لكى نكون فقهاء.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا واشرح لنا صدورنا وعلمنا العلم النافع وبارك فى أوقاتنا وأموالنا وأولادنا ما أحييتنا واجعل أبصارنا وأسماعنا وصحتنا الوارث منا وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وسلم.

محاضرة فى مادة أصول الفقه

من منظور صوفى

(نص التسجيل الصوتى)

لفضيلة الشيخ العالم الجليل الأستاذ الدكتور

على جمعة محمد الشافعى

مفتى الديار المصرية

وأستاذ أصول الفقه بالأزهر الشريف

عناصر المحاضرة وأفكارها

رسم خريطة المعرفة البشرية. مصادر المعرفة البشرية للإنسان:

الوحى/الكون: من أيهما بدأت وصلت (صدر سورة العلق/صدر سورة الرحمن).

الكون (الوجود) له عوالم كثيرة منها:

عالم الأشياء : مستوى الواقع المحسوس – مستوى نفس الأمر والشرع الحنيف عندما عَلّقَ أحْكَامَهُ علقها على الواقع المحسوس الظاهر. لماذا؟

لأن الشرع خاطب كُلّ الناس..خاطب الجميع.

مع مراعاة جهات التَّغَيُّر: الزمان / المكان / الأحوال / الأشخاص.

عالم الأشخاص: فالأشخاص لهم أحوال كثيرة: كبير /صغير– مسلم/كافر–ذكر/أنثى...إلخ.

عالم الأحداث: أى كيف تقف بإزاء الأحداث.

عالم الأفكار: التعامل مع الأفكار فلا نرفضها ونلقى بها ولكن نستغلها.

هذا هو الواقع .. الوجود بعوالمه المختلفة يحتاج إلى إدراكه وفهمه إلى مجموعة من العلوم.

الوحي

أما عن الوحي، وكيف نفهم الوحي؟

ظهـــر الشـــافعي يلخص كل الأدوات التي استعملها الصحابة فمن بعدهم حتى نفهم الوحي.

إذن أصـــول الفقه هو الأداة التي بها الفهم..أى هو النظارة التى ارتديتها حتى أرى بها النص الشريف وبدونها لا أرى شيئا..فبها أستطيع أن أقرأ – قراءة صحيحة – القرآن والسنة.

نص المحاضرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

على بركة الله نبدأ فى بيان أصول الفقه وارتباطه بالصوفية.

ونبدأ فى رسم صورة لقضية أصول الفقه،

وأين تقع من المعرفة البشرية؟

وما المعرفة البشرية؟ وما خريطتها؟.

أى أن الإنسان لديه إدراك، وهذا الإدراك يدرك به شيئين كبيرين:

١- الوحى   الواقع المحسوس المحيط بالإنسان

هذا مبدؤه قولـــه تعالى فى أول ما أنزل: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق١-٥) .

قالوا: فكرر القراءة مرتين:

أ) قراءة فى *كون الله المنظور:* (وهو الكون من حولنا).	إذن هناك قراءتان. قراءة للوحى، وقراءة للوجود
ب) وقراءة فى *كون الله المسطور:* وهو الوحى، أو كتابُ اللهِ سبحانه وتعالى.	

وقدَّم اللهُ قراءة الوجود فى هذه الآيات على قراءة الوحى.

وكما يقول ابن العربى[92]: فإن اللهَ سبحانه وتعالى له كتاب أكبر، وله كتابٌ أصغر.

وابن العربى نَسَبَ الكبر والصغر يبدو إلى الحجم، فاعتبر أن الكونَ هو الكتاب الأكبر، واعتبر أن القرآن هو الكتاب الأصغر، فى حين أن بعضهم قد عكس، فجعل كتاب الله المسطور (وهو القرآن) هو الكتاب الأكبر لأنه لا تنتهى عجائبه ولا يَخْلَقُ من كثرة الرَّد[93]، وأنه قد اشتمل على نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم من بينكم، وهكذا.

نلحظ ابن العربى فى جعل الكتاب القرآن هو الكتاب الأصغر والكون هو الكتاب الأكبر أن اللهَ تعالى جعلها دائرة لا نعرف قبيلها من دبيرها، ولا نعرف من أين نبدأ فلنبدأ من حيثما أردنا. وكلما بدأنا من حيثما أردنا على الدائرة، وصلنا. وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ

---

٩٢) ويلقب الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، وهو محيى الدين بن عربى الطائى الحاتمى، له مؤلفات عديدة أشهرها الفتوحات المكية وله عدد من التفاسير الإشارية.

٩٣) وفى ذلك إشارة إلى حديث الدارمى: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ عَدِىٍّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ أَبِى سِنَانٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِى الْبَخْتَرِىِّ عَنِ الْحَارِثِ عَنْ عَلِىٍّ قَالَ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّتَكَ سَتُفْتَنُ مِنْ بَعْدِكَ ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَوْ سُئِلَ مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ :« الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِى (لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) مَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِى غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ وَلِىَ هَذَا الأَمْرَ مِنْ جَبَّارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللَّهُ ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، فِيهِ خَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ ، وَنَبَأُ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ ، وَهُوَ الَّذِى سَمِعَتْهُ الْجِنُّ فَلَمْ تَتَنَاهَى أَنْ قَالُوا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ) لاَ يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلاَ تَنْقَضِى عِبَرُهُ ، وَلاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ. ثُمَّ قَالَ عَلِىٌّ لِلْحَارِثِ : خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ".

الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن١-٤) ، فقدم الوحىَ على الوجـود. وكان الخلق بعد الوحى. إنما الوحىُ مُقدَّم هنا ومُؤَخَّر فى سورة العلق.

نقصد من هذا وذاك أنه: ابدأ من حيث شئت، فإنك ستصل إلى المُكَافِئ فإن القــرآن مُكَافِئ للكون. فإذا بدأنا من الكون فنصل إلى حقائق القرآن، وإذا بدأنا من حقائق القرآن نصلُ إلى حقائق الكون. ولماذا؟ قال:

.لأن كلا منهما قد صدر من الله.

كيف صدر كل منهما من الله؟

القــرآن صـــدر من عالم الأمر[٩٤]، والكون صدر من عالم الخَلْق. ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْـقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعـراف٥٤) ، فتبارك الله رب العالميـن الـذى لـه الخلق والأمر. فبدأ هنا أيضا من الخَلْق. فمن الخلق خرج الكون، ومن الأمر خرج القرآن.

ومـن أمـر الله صـدر القرآن باعتباره دالا على صفةٍ من صفاته تعالى، وصفاتُه قائمة بذاته ليست بمخلوقة. فالقرآن ليس بمخلوق، فهو من عالم الأمر وليس من عالم الخلق.

---

٩٤) فلــه عوالم لا تتناهى. والروح خرجت من أمر الله ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (الإسراء٨٥).

هكذا هى عقائد أهل السنة والجماعة، وهى عقائد الصوفية إلى يومنا هذا أيضـــا، أن القـــرآن دالا علـــى صفة من صفاته تعالى وهى الكلام لأن الله صفاتٌ سبعة:

فَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ سَمْعٌ بَصَرٌ حَيَاةٌ العِلْمُ كَلاَمٌ اسْتَمَرّ [٩٥]

ففـــى هـــذا البيت[٩٦] سبع صفات لله وهى التى يسمونها الصفات الذاتية[٩٧]. الصفات التى لابد عقلا ونقلا أن نجعلها لله سبحانه وتعالى.

إذن فالإنسان أمام مصدرين من مصادر المعرفة، نبينهما فيما يلى:

مصادر المعرفة البشرية للإنسان

أ) الوحى

ب) الوجود

وإن شئنا قلنا إن المصدر الأول هو الوجود والمصدر الثانى هو الوحى فلا بأس. المهم أن مصادر المعرفة التى يقف أمامها الإنسان هى الوحى والوجود.

٩٥) كلام استمر معناه أن كلام الله مستمر، فهو مازال متكلما سبحانه، لم يكن ساكتا ثـــم تكلم ولم يتكلم ثم سكت، فإن التغيرَ لا يطرأ عليه سبحانه لأنه لا يحويه زمان ولا يحُـــدُّهُ مكـــان ولا يحيطُ به شئ. بل هو سبحانه وتعالى يحيطُ بكلِّ شئ، وهو بكل شئ محيط

٩٦) راجـــع عقيدة العوام نظم السيد أحمد المرزوقى المالكى – المجموعة التوحيدية – طبعة الحلبى.

٩٧) ويسميها الأشاعرة أيضا صفات المعانى وهى سبع صفات عندهم، أما الماتريدية فـــزادوا صفة (التكوين). راجع "حاشية البيجورى على الجوهرة للإمام اللقانى" تحقيق الدكـــتور علـــى جمعة، و "حاشية الشيخ الأمير على الجوهرة"، مطبعة الحلبى. والإمام اللقـــانى هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن أبو الأمداد فاضل متصوف مصرى مالكى من كـــبار علماء وقته (ت١٠٤١هـــ). والباجورى هو برهان الدين إبراهيم الباجورى (ت ١٢٧٦هـــ) بن الشيخ محمد الجيزاوى بن أحمد، وهو تلميذ العلامة محمد الأمير الكبير المالكى صاحب الثبت الشهير.

ونتحدث عن كل منهما بشئ من التفصيل

أولا: الوجود

من الوجود نعيش فى الوجود، فماذا نرى فى الوجود؟

قالوا: نرى عوالم مختلفة:

١- عالم الأشياء.	وهذه العوالم غير محدودة (غير محصورة)، بل يمكن أن نزيد عليها، فإن إدراكَ هذه العوالم إنما تم بالاستقراء والتتبع فيمكن أن نزيد عليها. ولذلك بعضهم ضم إليها فى عصورنا هذه (عالم النُّظم). مثل النظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والثقافى...إلخ.
٢- عالم الأشخاص	
٣- عالم الأحداث.	
٤- عالم الأفكار.	

وفيما يلى بيان كل منها:

١- عالمُ الأشياء: (ولها مستويان)

والواقــع الــذى حولــنا يبدأ بعالم الأشياء، وهى الجمادات، مثل الكواكب والــنجوم والشــجر والــبحار والأنهار وهذه الزجاجة وهذا المسجل وهذا المكتب والميكروفون....كل هذا عالم الأشياء[98].

وعــالم الأشياء ليس مصدرا للأحكام الشرعية ولكنه مجال لتطبيق الأحكام الشرعية، ومصدرٌ من مصادر المعرفة البشرية.

---

٩٨) وهنا كان فضيلته يشير إلى مجموعة من الأشياء التى أمامه على المنصة.

وعالم الأشياء المحيط بنا لـــه درجات فى التَّجَلِّى:

* درجة المحسوس الواقع

* درجة نَفْس الأَمْر

أ) درجـــة المحسوس الواقع: أى أن الإنسان يُدْرِكه بحواسه المخلوقة له. فربنا خلق فينا خمس حواس هى حاسة البصر/السمع/التذوق/اللمس/الشم ويدرك بها الواقع. فيدرك الحر من البرد..ويدرك القبيح من الحسن سواء كـــان فـــى النظر أو فى السمع أو فى الذوق..يدرك الحُلو من المر، وهكذا ندرك عالمَ الأشياء على مستوى الواقع.

ب) درجـــة نفـــس الأمـــر: وربـــنا قـــد مَـــنَّ علـيـــنا بالمجهر (تلسكوب وميكروســـكوب). فالميكروسكوب ترى به الأشياء الدقيقة الصغيرة إلى أن وصـــلنا إلـــى رؤيـــة الخلية والأنسجة والذرة...إلخ. والتلسكوب ترى به المجرات والأجسام الكبيرة فى الفضاء الفسيح الشاسع، مثل الشمس التى هـــى أكبر من الأرض بكثير...إلخ. فتكشفت بهذا المجهر أشياء أخرى لم نكن نعرفها.

مـــثال: الواقـــع أن هذا ماء (وأشار فضيلته إلى زجاجة ماء بجواره)، والحقـــيقة أنـــه هيدروجين وأكسجين[٩٩]. والهيدروجين يشتعل والأكسجين يســـاعد على الاشتعال. أى أن هذا هو نار الله الموقدة. ولكن هل هى ماء تطفـــئ العطـــش وتُحْدِثُ الرِّى عند الإنسان، أو أنها نار الله الموقدة التى تشتعل بل وتساعد على الاشتعال والانفجار واللهيب؟ لا يستطيع أحدنا أن

---

٩٩) أثبـــت التحلـــيل الكيمـــيائى للمـــاء أنهـــا تتكون من عنصرى الهيدروجين H والأكسجين O٢ بنسبة معينة (H٢O)

يــنكر أنهــا مـــاء، ولكن ذلك على مستوى الحِسّ الواقع والكينونـة. فهى مكونـة الآن كماء أمامنا، فهى ليست هيدروجين و أكسجين إنما هى مُكَوِّن مــن ذلك واسمه ماء وأكثَرَ الله من الحاجة إليه وجعله سائلا لطيفا مذيبا للأشياء ومطهرا ظاهرا وباطنا، فيطهر يدى من التراب ويطهر ملابسى من النجاســـة..من الناحية الشرعية يعنى. فجعل الله الماء وجعل منه كل شئ حى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (الأنبياء٣٠) إلا أنه نـار الله الموقدة

وذلــك إذا حُلِّــل بالكاثود والأنود (المهبط والمصعد) فينتج لنا هيدروجين يشـــتعل وأكســجين يولـــع فـــيها، فأصبح لهيبا. إذن الواقع أن هذه ماء، ومُكَوِّنها أنها نار الله الموقدة.

ما هذا العلم؟ هذا العلم ليس واقعيا..إنما وصل إليه الإنسان وشاهده وهو حـــق لكنه مستوى آخر هو مستوى التحليل والمجهر والاطلاع على نفس الأمر.

والشرع الحنيف عندما عَلَّقَ أحكَامَهُ علقها على الواقع المحسوس الظاهر. لماذا؟

لأن الشرع خاطب **كُلَّ** الناس..خاطب الجميع

<u>وكــل الـــناس تشــمل</u>: المؤمن (لأن المؤمن أكلفه بالإسلام) / الكافر (لأن الكافــر أدعُــوه إلى الإسلام) – ذكر / أنثى – عربى / أعجمى – عالم / جــاهل – أعــرابى /حضرى، ولهم ما يسمى <u>جهات التَّــغَـــيُّــر</u> وهى:

<u>*الزمان / المكان / الأحوال / الأشخاص.*</u>

فتتغير الفتوى بتغير هذه الجهات الأربعة، لذلك لابد للحكم وأن يكون:

متعديا الزمان (فكل العصور مخاطبة)

والمكان (فكل الأقطار مخاطبة)

والأحـــوال (فهـــو مُخَاطَبٌ فى كل الأحوال، فلنا أحكام فى حالــــة الحرب وحالة السلم وفى حالة الضرورة وفى حالة الأمـــن، والضـــرورات تبيح المحظورات فلنا أحوال ونحن مخاطـــبون فـــيها أيضا. فمثلا واحد مكسور وفى الجبس فكـــيف يصـــلى والصـــحيح السليم الآمن لـــه طريقة فى الصلاة وفى كل الأحوال لابد أن تصلى، وهكذا).

والأشـــخاص (فهـــناك الشخص الطبيعى وهناك الشخص الاعتبارى مثل المؤسسات وغيرها).

إذن فـــى الدعـــوة العامة قد تعدينا الزمان والمكان والأشخاص والأحوال. وهذه الأربعة لابد من حفظها لأهميتها وفائدتها فى أصول الفقه فكثيرا ما نـــتحدث عـــنهم. وهى تسمى جهات التغير. فإذا تغير الزمان أو المكان أو الحـــال أو الأشـــخاص تتغـــير الفتوى، فمصر غير إنجلترا. وعندما تتغير الحالة فالمضطر غير الطبيعى..والحرب غير السلم..والصحة غير المرض. وكذلك إذا تغير الشخص الذى أمامك، فمن تُخَاطِب، إنها أختى فلا يجوز أن أتـــزوجها، وهـــذه ليســـت أختى إذن يجوز أن أتزوجها، وهكذا باختلاف الأشخاص.

عـــودة إلى المثال إذن تذكر أن الشرع خاطب الجميع على أساس إدراك الواقـــع المحسوس الذى يشترك فيه الجميع وهو أن هذا ماء. ومن يعرف إنها هيدروجين وأكسجين؟ الذين درسوا ذلك فى المدرسة. ولكن ما هـــو حال من لم يدرسها؟ إنها ماء، وما زالت ماء. وهذه المعرفة لم نصل إلـــيها إلا بعد اختراع الكاثود والأنود. ولكن قبل اختراعهما لم نكن نعرف هـــذا التركيب وهذا التحليل..وقبل أن يضع مندليف[100] جدول العناصر فهل كـــنا نعلـــم التركيـــب والـــنواة والعناصر وأن حول النواة إلكترون وغير ذلك..فمستوانا المعرفى لم يكن يدرك هذا ولكن الكل يدرك أن هذا ماء. فلو سألنا سيدنا آدم عليه السلام قال هى ماء. ولو سألنا سيدنا عمر ﷺ ، ولو ســـألنا تامـــر (من العصر الحالى) قال هى ماء. إذن نستطيع أن نقول أن الواقع اشترك فى إدراكه كلُّ الناس. وما معنى كل؟ أى من آدم وحتى يوم القيامة. ولكن نفس الأمر يعلمه بعضهم ويجهله آخرون.

والشريعة موجهة إلى البعض أم للكل؟

موجهة للكل. إذن لابد وأن تتعلق بما يدركه الكل.

تطـــبيق(١): إذن هناك الواقع وهناك نفس الأمر. وهذه تسببت فى مشـــكلة كبيرة بين الفقهاء وبين الصوفية. وهذا ما نريد أن نتناوله أيضا

---

١٠٠) عالم غربى وضع جدولا للعناصر الكيميائية وسمى باسمه.

لأننا نريد أن نشرح – كما طُلِب منا[101] – ارتباط هذه العلوم (أصول الفقه وغيرها) بالتصوف. كيف ذلك!

المتصوفة حدث لهم ما يُسَمَّى بالكَشْف. وما هذا الكشف؟ الكشف هو الوصول إلى نفس الأمر. وهل نفس الأمر شئ واحد؟ لا، إنها دوائر لا تنتهى، وكل فترة نكتشف نفس أمر أكبر من التى قد كشفناها قبل ذلك، ولكن كله فى إطار نفس الأمر. لماذا؟ لأنه لا يُدْرِكُ بالحاسة الطبيعية الخِلْقِيَّة العادية التى وهبها اللهُ للإنسان ابتداءً..إنما يحتاج إلى آلة، مجهر أو حسابات أو آلات وما شابه. فعندما يقوم واحد بتحليل دم إنسان مثلا فهو فى الأصل دم ولكنه عندما يُدْخله فى الماكينة (ماكينة التحليل) يعرف ما يحتويه من حمض البوليك (Uric Acid) ومقدار ما يحتويه من سكر وغير ذلك، كما أنه يخبرنى أنه بالزيادة والنقص فيها إن وجد وبناء عليه يقوم الطبيب بوصف العلاج، وهكذا كل ذلك عن نفس الأمر. أما بالواقع فهذا هو دم ولونه أحمر فلا نعرف غير الصفات الفيزيقية ولكن الصفات الكيميائية تحتاج إلى نفس الأمر. وحدث عبر القرون أن المتصوفة من كثرة أذكارهم وكَشْفِهم وتَجَلّى الله لهم فكشف لهم شيئا من نفس الأمر، فتكلموا به فكَذَّبُوا. وقالوا: لهم إنكم كاذبون وما تقولونه غير صدق. فقالوا لهم: لا، بل هى نار. فردوا عليه: إنك ضلالى فهذه ليست نار بل ماء. يقول لهم

---

(101) وهنا يلمح القارئ أدب المشايخ فهذه العبارة قالها شيخنا تأدبا مع المنهج المقرر ولائحة المعهد الدراسية حتى يبين للدارسين أن هناك مناهجا موضوعة وخطة محددة للمناهج الدراسية سواء كانت الدراسة صوفية أو غير صوفية، وأن الدراسة لابد وأن يكون لها خطط ومناهج محددة معلومة. وهنا أتذكر دعاء شيخنا الذى يردده دائما (اللهم علمنا الأدب)، فاللهم آمين ببركة مشايخنا.

ويقسم: والله إنها نار. فيقولون لـــه: إذن أنت فاسق لأنك تحلف على شئ وهو شئ آخر. فقال لهم: إنكم لا تفهموننى. ردوا عليه قائلين: أفكلما قلت لـــنا شـــيئا فيه فسق وضلال تدعى أننا لا نفهمك، وهكذا ظلوا مثل حوار الطرشـــان (الذيـــن لا يســـمعون) إلى أن قالوا: لا تكلموا ولا تتحدثوا مع هـــؤلاء الناس فهم لا يفهمون شيئا ولن يفهموا وسوف يتعبون نفسيا من كلامـــنا..*عُلُومُنَا حَرَامٌ عَلَى غَيْرِنَا*..نحن الذين نصدق بعضنا البعض نتحدث معـــا فنحن رأينا أنها نار بالفعل، ولكن أذهب للآخرين وأخبرهم بأنها نار! إنـــه لـــن يصدقنى، وله حق أنه لا يصدقنا. فرجعوا المتصوفة إلى نفسهم وقـــالوا: بـــالفعل هـــؤلاء الآخريـــن لهم حق ألا يصدقونا فهم لا يعلمون الهيدروجيـــن مـــن الأكسجين من الاشتعال والمساعدة على الاشتعال وأن هـــناك نواة وإلكترون واحد للهيدروجين وأن له وزن ذرى معين....إلخ. إنه لا يعرف شيئا فلماذا نخاطبهم إذن بما لا يصل إلى عقولهم؟!.

(٢):ولكـــن هناك أيضا من الصوفية من ضَلَّ عن سواء السبيل بإدراكه لـــنفس الأمر. فمنهم من يقول إنها ماء بالفعل وهى هيدروجين وأكسجين، إذن هـــى نار، وطالما أنها نار فلن أتوضأ بها حتى لا تلسعنى. وماذا فعل هـــذا؟ إنه قد خرج عن الشرع الشريف..علّق أحكام الشرع بنفس الأمر، ولم يعلقها بما ينبغى أن تتعلق به وهو الواقع وليس بنفس الأمر. وواجهه إخوانـــه المحافظون على الشريعة وقالوا لـــه: لقد ضللت إذن بذلك. فرد عليهم: وهل أنتم الذين تقولون ذلك؟! ألستم تقولون إنها نار وأنتم تعلمون أنهـــا هـــذه هى الحقيقة أفتنكرونها! يقولون لـــه: لا لم ننكر الحقيقة أنها

نـــار. فقـــال لهم: إذن أنا لا أريد أن تأتى النار على جسدى..منها فرَرْنا. فقـــالوا له: لا، أنـــت هكذا تطرفت وخرجت عن الشريعة وقمت باستغلال علمـــك فى غير ما هو لـــه..فربنا مَنَّ عليك بالعلم وكشف لك أن هذه نار لكن أيضا يجب عليك أن تتمسك بظاهر الشريعة.

ولذلـــك صـــاغوا العـــبارة المشهورة[١٠٢]: " مَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتَحَقَّق فَقَد تَفَسَّق، وَمَنْ تَحَقَّق وَلَمْ يَتَشَرَّعَ فَقَد تَزَنْدَق"، وبيانها كالتالى:

مَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتَحَقَّق فَقَد تَفَسَّق	وَمَنْ تَحَقَّق وَلَمْ يَتَشَرَّعَ فَقَد تَزَنْدَق
وفسقه أنه جاهل	فربنا مَنَّ عليه بالحقيقة، ولكنه استعمل هذه المِنَّة فى غير موضعها. وتزندق مثل أنه يصلى بغير وضوء لأنه يقول إنه يخاف أن تلسعه لأنه أصلها نار الله الموقدة وأنا أخاف منها فخرج بذلك عن الشريعة فتزندق. والشئ الغريب أنه يصلى من غير وضوء

ونقـــول لمن يصلى بغير وضوء لخوفه من كون الماء نار: أنه حقيقى أن الله قـــد فتح عليك ولكن كما فتح على موسى السامرى. وموسى السامرى غـــير موسى عليه السلام من آل عمران . فموسى من آل عمران كان طيبا وكان نبيا كبيرا فهو كليم الله. وموسى السامرى عرف الاسم الأعظم.

١٠٢) وهى عبارة تُنسب إلى الإمام مالك رضى الله عنه.

إذن مــن الممكن أن نجد من يعرف الاسم الأعظم. ولكن هل هذا تشريف محض أم أنه بالإضافة إلى أنه تشريف هو تكليف؟ إنه تشريف مع تكليف. فــالذى يــنكر التكلــيف ويدعى التشريف يكون زنديقا. وهذا حال موسى السامرى. كان يريد أن يدعو على موسى عليه السلام باسم الله الأعظم. واسم الله الأعظــم لــو دُعِىَ به أجاب مهما كان الدعاء على سيدنا موسى أو على سيدنا عيسى فسوف يجيب.

والزنديق يريد أن يدخلنا فى هذا الإشكال! إنه يريد أن يقول: يا رب انتقم من موسى. إنه لو عرف أن ينطقها ويقول: يا رب انتقم من موسى باسمك الأعظــم كــذا، فسوف ينول الله بموسى العذاب، والله لا يريد لموسى إلا الخــير لأنــه كان من المخلصين وهو كليم الله، فماذا فعل الله؟ حال بينه وبين لسانه. فقلبه يريد أن يدعو ولكن لسانه لا يستطيع أن يتحرك. وهنا لابد من أن تجد تدخل قدرة الله. وهو يعلم.

فالآية ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ (الأعــراف١٧٦) قد نزلت فى موسى السامرى. وكذلك ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ (الأنفال٢٤) سلبا وإيجابا. فلم يعرف أن يدعو.

وفى المقابل نجد فرعون فكان ينظر إلى موسى عليه السلام فيحبه ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّــهَ يَحُــولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ وأيضــا ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي

وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (الأنفال٢٤)، فكان عندما ينظر إليه يحبه رغم أن عقله يقــول له هلاكك فى هذا فاقتله..ولكن قلبه لا يطاوعه. إنه فرعون الجبار الضخم الذى قيل إنه كان يقتل بالنظرة أى بمجرد أن يشير بالنظرة إلى من يريد فيقوم السياف مباشرة بقتل هذا الشخص الذى نظر إليه فرعون، وكل ذلك من الجبروت فهو القائل ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (النازعات٢٤) فكان ينبغى أنه عندما يرى موسى عليه السلام يقطعه حتت، ولكنه أول ما قابله كان يقول لــه ﴿ أَلَــمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (الشعراء١٨-١٩) من الذى يتكلم بهذا؟ إنه فرعون..أرأيتم ماذا يقول! وكأنه يقول له: يا بنى الله يهديك ألم نربك فينا ولــيدا تعــال واعبدنى وخلاص ولنكن أسرة واحدة وأنا أبوك. انظروا إنه يحبه..هل رأيتم القوة! فرعون يحب موسى. هذه هى أوضاع قضية الواقع ونفس الأمر. فكثير من الصوفية تكلموا عن نفس الأمر إما فى الكون وإما فــى غيره من النفس البشرية ومن التاريخ فلم تتحمل الناس ذلك. ولذلك يواجهــون المتوصوف قائلين: من أين أتيت بذلك، إنك ضلالى. فقال لهم: لا، أنــا لا ضــلالى ولا غيره أنا سوف أكفى خيرى شرى. *وَكُتُبنا حرامٌ عَلى غَيرِنا* ..

(٣):ولكن هناك طائفة ممن كُشِفت لهم الحقائق ضَلُّوا بها. وهذه قضية أخــرى ففعلوا مثل السامرى. ولذلك من بركة الإنسان فى الطريق إلى الله أن يــرزقه بشيخ أمينٍ مخلص. وهذا من الأشياء البركة.. أن يوفق المرء إلى شيخ أمين مخلص. لأنه لو كان من الأدعياء فلن يصل إلى شئ، وإذا كان من المقصرين أو المستغلين فلن يصل إلى شئ. وهذا أمر الله وفضل الله وقدر الله يفعل ما يشاء ويختار.

٢- عالمُ الأشْخَاص:

فــالواقع مكون من عالم الأشياء وعالم الأشخاص..أى بنى آدم مثل الذين هــم أمامنا الآن. وقد يختلف الشخص: كبير أم صغير – رجل أو امرأة – عــربى وأعجمى – مسلم وكافر – ...إلخ. فالأشخاص لهم أحوال كثيرة. فكيف نتعامل مع هذه الأشخاص؟

كــيف نــتعامل مع هذه الأشخاص فى حياتنا الدنيا؟ كيف نتعامل مع هذه الأشخاص فى علاقاتنا مع الله؟

مــثال: أتذكرون الرجل الذى يقول " أبيت وليس فى قلبى شئٌ لأحد من المســلمين " ولكــنه زعلان من الكفار وما يفعلونه فينا، ولكنه قد يترقى ويقــول " أبيــت وليس فى قلبى شئٌ لأحد حتى من الكفار "، ويترقى حتى يقول " أبيت وليس فى قلبى شئٌ لأحد من عباد الله "، والآخر يقول " أبيت ولــيس فى قلبى شئٌ لأحد من خلق الله " فحتى إذا كان كلب عضه أو قطه أو ســلعوة أوذى بها فيسامح هذه المخلوقات ، ويترقى حتى يقول " أبيت

ولـيس فـي قلـبى شئٌ لأحد من الأشياء "، ويترقى حتى تكون الدنيا قد خرجـت بتمامها من قلبه. فهذا هو نمط من تعاملك مع الأشخاص..ولكنه فيما يتعلق بطريق الله أى التصوف. فالأمر ممتد.

٣- عالمُ الأحداث:

الأحـداث مثل ارتفاع الدولار وانخفاضه / أحداث العراق / أحداث العلاقات الدولية / فوز بوش بالرياسة / إلى آخره.

أى كيف تقف بإزاء الأحداث وكيف ...

مــثال: مـن الأحداث أن رجل استغفر الله على أنه قد حمده مرة ثلاثين سـنة، وذلـك أنه قد قيل له: إن المحِلّة قد احترقت إلا بيتك، ففرح وقال: الحمـد لله، ونسـى مصـيبة الآخريـن فاستغفر الله على نسيانه لمصيبة الآخرين. انتبهوا إلى الحدث وأنت تقابله، فمن الممكن أن تحلل المضمون ونبنى عليه قرارات سياسية وغيره. ولكن من ضمنه أيضا هو ما نريد أن نركز عليه هو طريق الله. فهذا هو حدث أمامنا فإذ به قد توجه قلبه للحمد – حمـد الله – علـى إنقـاذه لكنه لم يعتل هَمَّ المسلمين وهم من احترقت ديـارهم بجوار بيته فاعتبر أن هذا تقصير منه فاستغفر الله ثلاثين عاما. فكل يوم يقول استغفر الله وعندما يسأل يقول أستغفر على أننى قلت الحمد لله. يقولـون له: وهل هذا كلام..انتبهوا إذا تغير السياق ولم يفهم الناس يتهمونه بالتنطع قائلين: ما هذا أيستغفر الله على الحمد لله، فهل هذا كلام يدخل العقل.

إنهم لا يفهمون فهو لم يستغفر على ذات الحمد فإن الحمد لله حمده أم لم يحمـــده ولكنه يستغفر على نسيانه لهموم المسلمين وعلى اشتغاله بفرحة نفسه دون عتل هم المسلمين.

٤- عالمُ الأفكار:

محيى الدين بن العربى لـــه كلام عجيب فى الأديان: *كل دين موجود على وجـــه الأرض فـــيه شـــئ من النور، وأنك إذا أردت أن تدعو هذا الإنسان فادعه من خلال النور الذى فى هذا الدين، والذى هو مهيمنٌ على هذه الأديان، والذى هو يُظْهِرُ نُورَها هو الإسلام*".

فنحـــن نتأمل فى الأديان ونرى فيها خط النور وندعو ونجذب كل ذى دين مـــن ذلك النور الذى هو فيه. وهذا هو نوع من أنواع التعامل مع الأفكار فهـــو لم يرفضها ويلقى بها ولكن استغلها لكى يعرف كيف يخاطب البوذى أو الشـــنتو أو الهندوس.... من شئ فى دينه، فلابد من وجود شئ أعرف أدخل له منها.

الخلاصة:

إذن هذا هو **الواقـــع** .. **الوجـــود** بعوالمه المختلفة يحتاج إلى إدراكه إلى مجموعة مـــن العلوم.. وعرفنا ما فيه وعلاقته بالتصوف .. فكيف نفهم الواقع؟ نفهمه بكثير من

العلـــوم مـــثل الكيمياء والفيزياء والفلك وعلم الاجتماع[١٠٣] وعلم السياسة ...إلخ.

فبمجمل هذه العلوم نستطيع أن ندرك الواقع.

لكن لو رجعنا إلى **الوحى**، فكيف نفهم الوحى؟

وهـــنا ظهـــر الشافعى[١٠٤] يلخص كل الأدوات[١٠٥] التى استعملها الصحابة فمن بعدهم حتى نفهم الوحى.

إذن أصول الفقه هو الأداة التى بها الفهم

أى أن أصـــول الفقـــه[١٠٦] هو النظارة التى ارتديتها حتى أرى بها النص الشريف وبدونها لا أرى شيئا.. فبها أستطيع أن اقرأ قراءة صحيحة للقرآن والسنة.

وإلى لقاء آخر نستودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

________________ نهاية المحاضرة

---

١٠٣) وإن كان علم الاجتماع منشأه كافر من نموذج معرفى كافر، ففيه تفصيل.

١٠٤) راجـــع تـــرجمة الإمام الشافعى وأسس مذهبه وطرق مذهبه وسلسلته وأعلام المذهـــب وكتبه المعتمدة فى "المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية" للدكتور على جمعة محمد، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٠٥) وذلك فى كتابه الرسالة، وهو مطبوع.

١٠٦) يُعرَّف علم أصول الفقه كمركب إضافى يتكون من كلمتين: (أصول) وهى جمع أصـــل لغـــة مـــا يبنى عليه غيره حسا أو معنى أى هو الأساس، واصطلاحا بإطلاقات عديـــدة المناسب منها هنا الدليل الإجمالى، و(فقه) وسبق تعريفه. كما يعرف كَعَلَم على فن مخصوص بأنه "معرفة دلائل الفقه إجمالا، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد". وهـــو التعريف المختار للبيضاوى. راجع "الحكم الشرعى عند الأصوليين" للدكتور على جمعة، مرجع سابق.

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة

(مرتبة حسب ترتيب ورودها فى الكتاب)

٢- فهرس الأحاديث الشريفة

(مرتبة حسب ترتيب ورودها فى الكتاب)

٣- فهرس الأعلام

(مرتبة حسب ترتيب ورودها فى الكتاب)

الاسم	الصفحات
سيبويه	١٤، ١٥
المكى: أبو طالب المكى	٣٤
حجة الإسلام: أبو حامد الغزالى	٣٥، ٥٧
الحكيم الترمذى	٣٥، ٥٢، ٧٥
القسطلانى: شهاب الدين بن محمد الخطيب المصرى الشافعى	٣٥، ٥٢
ابن عجيبة المراكشى	٣٨، ٦٩
ابن عربى: الشيخ الأكبر	٩٦، ١١١

٤ – فهرس الفرق والديانات والمعتقدات

(مرتبة حسب ترتيب ورودها فى الكتاب)

٥- فهرس الموضوعات

<u>الرموز المستخدمة</u>: (خ) صـحيح البخارى - (م) صحيح مسلم - (ق) متفق عليه، أى اتفق البخارى ومسلم على إخراج الحديث فى صحيحيهما - (ت) جامع الترمذى - (ن) سنن النسائى - (د) سنن أبو داود - (جه) سنن ابن ماجه - (مك) موطـأ مالك - (حم) مسند أحمد - (ك) مستدرك الحاكم - (خد) البخارى فى الأدب المفرد - (تخ) البخارى فى التاريخ - (حب) صـحيح ابن حبان - (طب/طس/طص) الطبرانى فى معجمه الكبير/الأوسط/الصغير، على الترتيب - (ش) مصنف ابـن أبى شيبة - (عب) الجامع لعبد الرزاق - (قط) سنن الدارقطنى - (فر) الفردوس للديلمى - (حل) حلية أبونعيم - (هب) شعب الإيمان للبيهقى - (هق) سنن البيهقى - (معجس) المعجم الوسيط.

تم بحمد الله

العشيرة المحمدية فى سطور

العشيرة المحمدية دعوة صوفية للإنقاذ والتجديد والتجمع والنهضة والتصحيح الربانى الحق (فهى جامعة صوفية عالمية) لخدمة التصوف الشرعى والصوفية الواعية أينما كانوا وحيثما كانوا حتى تتحقق رسالة الإنسانية الرفيعة فى الإسلام، رسالة الحب والربانية والسلام. فهى دعوة إصلاحية فريدة جديدة تهدف إلى غايات ومقاصد فى سبيل رفع لواء الإسلام وجمع أمته على الطريق الروحانى الأكرم مع ما يقتضيه من خدمات اجتماعية وثقافية وصحية وغيرها، فتكون الحضارة ثمرة للإيمان وحقيقة للإحسان.

ومؤسس العشيرة المحمدية هو الإمام الفقيهُ المحدِّثُ الشَّاعِرُ العالِمُ الصُّوفيُّ بقيةُ السَّلف الصَّالح أبو البركات **محمد زكى الدين إبراهيم الخليل بن علىّ الشَّاذلىُّ** المتوفى فجر الأربعاء من جمادى الآخرة ١٤١٩ من هجرة النبى ﷺ (الموافق أكتوبر ١٩٩٨) بعد اثنين وتسعين عاما من العمر المديد قضاها فى الدعوة الصوفية الربانية على بصيرة ونور من ربـه.

رحمه الله تعالى.

الناشر: المعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف

أسماء أعضاء هيئة التدريس بالمعهد

السادة العلماء المشايخ الأفاضل الأساتذة بكليات جامعة الأزهر الشريف *

عميد المعهد: أ.د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعى، أستاذ العقيدة الإسلامية ورئيس الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان سابقا.

شيخ مشايخ الطرق الصوفية: سماحة الشيخ حسن الشناوى.

رائد العشيرة المحمدية: لواء د. محمد عصام الدين محمد زكى إبراهيم.

أ.د. إبراهيم حسن	أستاذ ورئيس قسم اللغويات سابقا
الشيخ أحمد طلبة	أستاذ التجويد والقراءات
أ.د. أحمد عمر هاشم	رئيس جامعة الأزهر السابق وأستاذ الحديث وعلومه
أ.د. أحمد القرشى	أستاذ التفسير وعلوم القرآن
أ.د. العجمى دمنهورى خليفة	رئيس قسم الحديث وعلومه سابقا
أ.د. القصبى محمود زلط	نائب رئيس جامعة الأزهر الأسبق وأستاذ التفسير وعلوم القرآن
أ.د. المحمدى عبد الرحمن	أستاذ التفسير وعلوم القرآن
أ.د. بسيونى فيود	أستاذ البلاغة
أ.د. جودة أبو اليزيد المهدى	أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم، عميد كلية القرآن الكريم – جامعة الأزهر ـ طنطا
أ.د. سعد سعد جاويش	أستاذ الحديث وعلومه
أ.د. شفيق أبو سعدة	أستاذ العروض والقوافى
أ.د. عبد الحسيب سند	أستاذ الفقه الحنفى
أ.د. عبد الحميد مدكور	أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية
أ.د. عبد الرحمن سلامة	أستاذ العروض والقوافى

أ.د. عبد الستار حسين زموط	أستاذ البلاغة
أ.د. عبد الشافى محمد عبد اللطيف	أستاذ الحضارة والتاريخ الإسلامى
أ.د. عبد العزيز فاخر	عميد كلية اللغة العربية سابقا وأستاذ النحو والصرف
أ.د. عبد الفتاح الشيخ	رئيس جامعة الأزهر الأسبق وأستاذ أصول الفقه
أ.د. عبد الفتاح بركة	أستاذ الفلسفة الإسلامية وعلوم التصوف
أ.د. على جمعة محمد	مفتى الديار المصرية وأستاذ أصول الفقه
أ.د. على حسين عبد النبى	أستاذ أصول الفقه
أ.د. على على صبح	عميد كلية اللغة العربية وأستاذ الأدب والنقد
أ.د. محمد سالم أبو عاصى	أستاذ التفسير وعلوم القرآن
أ.د. محمد محمد أبو ليلة	رئيس قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية
أ.د. محمد مهنا	أستاذ القانون الدولى وعلوم التصوف
أ.د. مسموع أبو طالب	أستاذ التفسير وعلوم القرآن
أ.د. مصطفى عمران	أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية
أ.د. نصر فريد واصل	مفتى الجمهورية الأسبق وأستاذ الفقه الشافعى

* الأسماء مرتبة أبجديا

** المكتب الفنى: أ. محمد السيد – أ. أشرف سعد – أ. أحمد قاسم – أ. عبد الله سعيد المندوه – أ. ولاء عصام الدين.

المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف والتراث

المعهد هو أحد مؤسسات العشيرة المحمدية وفروعها التى نادى بإنشاها الإمام الفقيهُ المحدِّثُ الشَّاعِرُ بقية السَّلف الصَّالح أبو البركات **محمد زكى الدين إبراهيم** رائد العشيرة المحمدية ومؤسسها رحمه الله تعالى . ويستند المعهد فى إنشائه إلى المادة رقم(٤٤) من القانون ١١٨ لسنة ١٩٧٦ م بشأن نظام الطرق الصوفية ولائحته التنفيذية، والتى تبين أن يكون لخريجى المعهد أولوية شغل المناصب المختلفة فى التشكيلات الصوفية إذا ما توافرت فيهم الشروط الأخرى وأولوية تمثيل الطرق الصوفية محليا ودوليا. ويقع على عاتق المعهد عبء إحياء التراث الصوفى فى علوم الدين والدنيا معا وذلك بكشف أسرارها والنفوذ إلى حقائقها ومن ثم تخريج طائفة من العلماء القادرين على فهم وإدراك العلاقة بين الدين والدنيا، والغيب والشهادة، والملك والملكوت، والمعقول والمنقول، ومن ثم تقنين الروابط التى تربط بينها تقنينا صحيحا موافقا للنواميس الكونية، علاوة على تخريج فئة من الدعاة القادرين على حمل هذه المفاهيم المترامية الأبعاد إلى جماهير المسلمين المتعطشة إلى إحياء البعد الحضارى فى حياتها.

ويتوخى المعهد ترشيد التصوف وَرَدّ الممارسات الصوفية إلى صحيح الكتاب والسُّنَّة بفهم العلماء العاملين من السلف الصالح دون إفراط أو تفريط، مع السماحة وسعة الأفق فى الفهم والأداء ودون ما اعتبار لرسميات أو تقاليد صوفية مخالفة لهذا النهج. وكذلك إيقاظ وإنقاذ الحضارة الإسلامية من مستنقع المادة التى طغت قوانينها بحكم الزمان على كل مناحى الحياة بكافة صورها ومستوياتها، وذلك بردها إلى أصولها الروحية ومناهجها الربانية عملا بقوله تعالى { وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ } (آل عمران ٧٩)، إضافة إلى ضبط وإعادة التوازن فى العلاقات بين الشرق الإسلامى والغرب الحديث والتى اختلت بفعل تفوق الغرب فى مجال الصناعة والتجارة والمال فى عصر أصبحت فيه العناصر المادية وحدها هى الجديرة بالاعتبار والقادرة على توجيه دفة الأمور والتأثير فى الحوادث التاريخية. ولذلك فإن طرح العلاقات الدولية بهذا الاعتبار الروحى هو القادر على إعادة التوازن فضلا عن إيجاد الشروط الضرورية لتحقيق تعاون جاد وليس شكليا باعتبار أن الروح بطبيعتها وحدة وانسجام وأن المادة بطبيعتها تفرق وانقسام. إن استثمار التصوف وترشيده باعتباره رأس المال الطبيعى المتأصل فى الأمة سوف يكون أجدى وأنجع من محاولات كثيرة تتسم بالاندفاع دون رويَّة للحاق بقطار الغرب الرأسمالى مع ما يقتضيه ذلك من أثمان باهظة تنفق من المبادئ الثابتة والقيم الأساسية للأمة. لقد كان التصوف هو رأس مال المسلمين الأوائل من التجار فى علاقاتهم الاقتصادية مع الشعوب الأخرى، وكلمة السر للساسة فى علاقاتهم الدبلوماسية، ومفتاح النصر للقادة فى ميادين المعارك، ووسيلة الإعلام الفعالة فى الدعوة ونشر الخير والفضيلة، ومبدأ كل تقدم علمى وبناء حضارى. نرجو أن يكون إنشاء معهد علمى للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف والتراث استلهاما من المنهج الأزهرى القديم والوسطية المعتدلة قادرا على حمل هذه الرسالة إلى شعوب العالم الآخر سوف يساهم مساهمة فعالة فى إعادة رسم العلاقات الدولية على أسس سليمة وعادلة فى كافة المجالات.